جـــــــــــامعة الجيـــــلالي بـــــونعامة خـــــــميس مـــــــــليانة .

كـــــــلية الـــــــعلوم الإنـــــــــــسانية والاجـــــــــــــتماعية .

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التـــــــــــــاريخ.

العلاقات الجزائرية - المغربية خلال حكم البيلربايات

(1519 – 1587م).

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ حديث ومعاصر.

من إعداد الطلبة: إشراف :

- خشـــــــوش نعـــــــيمة. أ/عبـــد القادر فلـــــــوح.

- بن ســـماعيلي أســـــــماء.

لجنة المناقشة.

1 - ..... رئيسا.

2- عبد القادر فلوح ..... مشرفا.

3- ..... مناقشا.

السـنة الجـــــامـــعـــيـــة :2017/216.

إهـــــــــــــداء :

إلى أغلى شيء قدمه الله لنا ، ومنحنا إياه ، والدي الكرام الذان ساندني و وقفا معي في كل خطواتي حياتي ، حيث كانوا بمثابة الدافع الحقيقي لإكمال مسيرتي الدراسية .

وإلى أخواتي وأخي الكريم ، الذين كانوا نعم العون والسند لي سواء كان هذا العون ماديا أو معنويا (محمد ، أمينة ، سمية ، خديجة ، ونور الهدى .)

وإلى صديقاتي العزيزات (نعيمة ، صبرينة ، أسماء) الذين عرفت معهم معنى الصداقة والوفاء .

وإلى كل شخص كان ساهم بالقليل أو الكثير لوصولي ونجاحي .

إلى أساتذتي الكرام ، وإلى أستاذي في الابتدائية عبد القادر بكة رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه ، حيث كان القلم الذي كتبت به مسيرتي الدراسية.

بن سماعيلي أسماء

الإهداء:

إلى أعز ما أنعم الله علي أبي وأمي الذان كان لي الدافع والحافز لإكمال دراستي والنجاح .

إلى أحبائي إخوتي الذين كانوا لي السند وقدموا لي كل أنواع الراحة (حمزه ، أحمد ، محمد ، عبد الرءوف) علي ، سلافه ، يسمين

إلى صديقات العمر الذين عرفتهم في هذه الحياة وكونت معهم علاقات صداقة متينة قدمنا لي النصح وكان لي رفيقات دربي (أسماء ، صبرينة ، أسماء ، حرية ، سعاد).

إلى كل من ساهم في نجاحي من القريب أو البعيد من أقارب أو أساتذة الذين مهدوا لي الطريق ، إلى أستاذي بوعبيدة موسى ، وبكة عبد القادر .

خشوش نعيمة

شـــــكـــــــر وتـــقـــديـــــر .

الحمد لله رب العالمين على نعمه الكثيرة التي أنعمها علينا ، نحمده ونشكره على إعانته لنا وتوفيقه لإنجاز هذا البحث المتواضع .

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الفاضل عبد القادر فلوح لإشرافه علينا لإنجاز بحثنا هذا ،و على توجيهاته وإرشاداته القيمة لنا ،خاصة وأنه لم يبخل علينا في أي شيء برغم من ضيق وقته وانشغالاته فكل الشكر والتقدير له.

كما نتقدم بالشكر إلى الأستاذ نور الدين بلعربي الذي كثيرا ما شجعنا وحفزنا بكلماته الطيبة ومعاملته الراقية فنعم الأستاذ هو.

ولا ننسى أن نتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الذين ساهموا بالكثير أو القليل في وصولنا إلى هذه المرتبة العلمية .

وفي الأخير نتقدم بالشكر إلى صديقاتنا الأعزاء الذين كانوا نعم العون لنا سواء كان عونا ماديا أو معنويا فشكر وألف شكر لكما أيها الأخوات.

قائمة المختصرات :

باللغة العربية.

–تر : ترجمة.

–تق : تقديم.

– تح : تحقيق.

– ج : الجزء.

– مج : المجلد.

– ط : الطبعة.

– ص : الصفحة .

باللغة الاجنبية.

- Op .cit : opàt opera citato.
-Ibid : ibidem.
-P : page
- T : tome.

يعتبر موضوع العلاقات الجزائرية– المغربية من المواضيع التاريخية الهامة، لما يكتسي من أهمية بالغة في إطار علاقة الطرفين ببعضهم البعض، وعلاقة الطرفين كذلك بما يحدث في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خاصة في فترة القرن السادس عشر ميلادي وذلك بسبب التحولات والتطورات السياسية التي شهدتها منطقة المغرب الاسلامي من ظهور قوى سياسية إسلامية وأخرى مسيحية .

وحاولنا في هذا الموضوع تسليط الضوء على العلاقات السياسية للبلدين في إطار العلاقات بين الجزائر العثمانية والمغرب الأقصى الرافض للتبعية لهذه الخلافة ، دون التطرق إلى المجالات الأخرى من العلاقات .

بالإضافة إلى أننا من خلال هذا الموضوع فصلنا بين موضوع العلاقات الجزائرية – المغربية وموضوع العلاقات العثمانية – المغربية ، خاصة وأن الكثير من الباحثين قد أدمج هذين الموضوعين مع بعضهما،علما أن هناك اختلاف بين الموضوعين ، فموضوع العلاقات الجزائرية– المغربية يعتبر جزء من موضوع العلاقات العثمانية – المغربية .

-أسباب اختيار الموضوع :

أما عن سبب اختيار الموضوع فهي كالتالي:

– أهمية الموضوع خاصة في ظل القرب الجغرافي للبلدين وتحكم هذا الجوار في إطار قضية الحدود التي أثرت في العلاقات ، التي تعود جذورها قبل دخول الجزائر تحت الراية العثمانية بالرغم من التأكيد في إطار التقارب المذهبي المالكي بين سكان البلدين ومحاولة السلطة في المغرب الأقصى الوقوف كسد منيع أمام المذهب الحنفي لسلطة الجزائرية.

– تسليط الضوء على صيغة العلاقات وأهم العوامل والظروف التي ساهمت في تنشيط العلاقات أو تراجعها في ظل التحولات السياسية في القرن 16م ، خاصة وان المنطقة شهدت صراع قوي بين إسبانيا المسيحية والدولة العثمانية الإسلامية التي كانت رمز للإسلام لصد المد المسيحي.

– من أجل الوقوف على ظاهرة الزعامة على المغرب الإسلامي التي تريد فرضها كل من الجزائر في إطار السلطة العثمانية، والمغرب الأقصى في إطار رفضه التبعية للوجود العثماني.

– الرغبة في البحث التاريخي فيما يرتبط بالعلاقات الدبلوماسية بين بلدان المغرب الإسلامي والعوامل المتحكمة فيها الداخلية منها والدولية.

أما عن اختيار الفترة الزمنية والتي امتدت من 1519–1587م ،فهو راجع إلى أنّ هذه المرحلة هي فترة ميلاد الجزائر العثمانية سنة 1519م ، وميلاد نظام البايلرباي الذي استمر إلى غاية 1587م حيث عرفت هذه السنة تغير نظام الحكم إلى نظام البشوات ومحاولة التحكم فيه من خلال إرسال الباشاوات إلى الجزائر .

كما عرفت الجزائر في هذه الفترة أزهى فترات تاريخها وذلك راجع إلى المكانة الدولية والبحرية التي أكسبتها لها هذه المرحلة ، كما أن الجزائر في هذه الفترة عرفت قوة حاكمة جديدة متمثلة في القوة العثمانية الهادفة إلى توسيع خلافتها إلى المحيط الأطلسي ، وبالتالي الاصطدام مع قوة جديدة هي الأخرى كان المغرب الأقصى يشهد نموها وهي الدولة السعدية التي عرفت ازدهاراً كبيراً طيلة الفترة ، والتي كانت تسعى إلى بسط نفوذها على الجزائر ، الأمر الذي أوجب خلق علاقات سياسية بين البلدين طيلة هذه الفترة .

الإشكالية.

ونظرا للأهمية التي يكتسيها موضوع العلاقات الجزائرية المغربية في ظل التقارب الجغرافي والحضاري والديني ، أعطينا صورة لتلك العلاقات السياسية التي جمعت البلدين في ظل هذه المؤثرات ، وعليه قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات منها.

– بماذا تميزت أوضاع الجزائر و المغرب الأقصى في هذه فترة ؟

– إلى أي مدى ساهمت أوضاع البلدين في تحديد علاقتهما مع بعضهما البعض ؟

– ماهي الأطراف الفاعلة في العلاقات بين البلدين ، خاصة الدولية منها ؟

– ماهو موقف البلدين من هذه الأطراف الدولية ؟

وكل هذا سوف نجيب عليه في مذكرتنا هذه.

-خطة البحث.

من أجل الإجابة عن هذه الأسئلة قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة.

فمهدنا بحثنا بدراسة لمحية عن الأوضاع العامة للجزائر والمغرب الأقصى والعلاقة التي جمعت الطرفين قبل فترة البايلرباي ، وقد حاولنا من خلال هذا الفصل إبراز أهم العوامل التي أثرت في هذه الأوضاع والعلاقة بينهما ؟.

أما الفصل الأول فهو الأخر تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية للبلدين في الفترة مابين 1519-1587م ، وذلك لان هذه الأوضاع كان لها تأثيراً كبيراً على العلاقات التي جمعت البلدين هذه الفترة.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه إلى العلاقات الجزائرية – المغربية في المرحلة الأولى والتي امتدت من سنة 1519-1554م ، أي في إطار حكم البلدين لأربعة قوى متباينة العثمانية والزيانية في الجزائر والسعدية والوطاسية في المغرب الأقصى وقد اعطينا في هذا الفصل صورة لتأثر العلاقات بين البلدين بالظروف التي أصبحت تعيشها المنطقة وكيف كان للطرف الزياني والوطاسي دورا في تأجج العلاقات بين البلدين ؟.

كما أدرجنا في هذا الفصل الدور العثماني في تهدئة الأوضاع بين الطرفين وحاولنا أن نعطي صورة واضحة لذلك الدور .

أما الفصل الثالث فقد عالجنا فيه العلاقات الجزائرية المغربية في ظل الحكم العثماني والسعدي 1554-1587م، أي بعد سقوط كل من الزيانيين والوطاسيين ، و من خلاله اعطينا صورة لمسار العلاقات في ظل انهيار حكم تلك القوى ، وإلى أي مدى استطاعت الجزائر التدخل في شؤون المغرب الأقصى؟ ، وكيف كان رد فعل سلاطين هذه الأخيرة ، وماهو الدور الذي لعبته إسبانيا في هذه المرحلة ؟.

وقد أنهينا دراستنا هذه بخاتمة احتوت على مجموعة من الاستنتاجات التي خلصنا إليها من بحثنا هذا.

-المنهج المتبع .

بما أن هذا الموضوع يحتاج إلى تقصي المعلومات والحقائق التاريخية من المصادر التي تحمل في طياتها تناقضات لا تخلو من الذاتية ، فإن هذا الموضوع يحتاج إلى الاعتماد على المنهج التاريخي ، وذلك من أجل تقصي الحقائق التاريخية ، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي والتحليلي ، وذلك لوصف الأحداث وتحليلها تحليلاً تاريخياً.

-عرض المصادر والمراجع .

ولما كان من الضروري على كل باحث تاريخي في الدراسات الأكاديمية يتوجب عليه توثيق معلوماته بمجموعة من المصادر والمراجع فإننا في دراستنا هذه اعتمدنا على مجموعة منها من اجل إعطائه أمانة علمية.

ولما كان موضوعنا يخص إقليمين ارتأينا إلى الاعتماد على العديد من وجهات النظر خاصة في هذا البحث ،سواء الجزائرية العثمانية أو المغربية أو الأجنبية .

ومن بين هذه المصادر والمراجع نذكر.

– كتاب مذكرات خير الدين بربروس الذي أفادنا كثيرا لدراسة ومعرفة الخلفيات والعوامل التي أدت بخير الدين طلب الحماية من الباب العلي ، بالإضافة إلى اعتمادنا عليه لدراسة العلاقات بين البلدين .

– عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل وهي أرجوزة لمحمد الكراسي ، استفدنا منها كثيرا لدراسة تاريخ الدولة الوطاسية .

– الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510–1541م ، لمؤلفه شوفاليه كورين ، استفدنا منه كثيرا لتقصي تاريخ الجزائر قبل وبعد الارتباط بالباب العالي.

-المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ، لأحمد ابن القاضي ، استخلصنا منه مظاهر العلاقات بين البلدين في عهد المنصور .

- وصف أفريقيا لحسن الوزان ، استفدنا منه كثيرا لرصد الأوضاع العانة للبلدين .

- إفريقيا لمرمول كربخال ،وقد اعتمدنا على جزئيه الأول والثاني ، أعطى لنا صورة عن تلك العلاقات بين البلدين من 1519-1574م.

- بالإضافة إلى مجموعة من المراجع الحديثة منها:

- الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية لعزيز سامح ألتر .

التاريخ الدبلوماسي للمغرب الأقصى من أقدم العصور لمؤلفه عبد الهادي النازي ، وقد اعتمدنا على الجزء السابع والثامن منه .

-المغرب في عهد الدولة السعدية لعبد الكريم كريم.

أما عن المصادر الأجنبية فقد اعتمدنا على مايلي

-Diege (Haedo),Topographe et Histoire generale d'Alger.

- Histoire de Rois d'Alger.

-المجموعة الضخمة القيمة التي جمعها وحققها هنري دوكاستري من مختلف الخزائن ودور المحفوضات الأوروبية ، والتي جمعها في سلسلتين ، الأولى تتعلق بالدولة السعدية والتي تغطي الفترة من 1486-1660م ، وقد استفدنا منها كثيرا لإعطاء صورة أكثر دقة للعلاقات الجزائرية المغربية وبالأخص المجموعة المتعلقة بدور المحفوضات الاسبانية والبرتغالية .

وقد نشرها دوكاستري تحت العنوان التالي

- Sources inédites De L' Histoire de Maroc , 1^{ére} série ,dynastie saadienne .

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الوثائق نشرها إلي دوبريموداي بالجزائر سنة 1875م في كتابه المسمى

- Histoire de l' occupation Espagnole en Afrique (1506-1574).

ولا ننسى كتاب دوغراممونت

Histoire d’ Alger sous la domination turque (1515-1830)

الذي أعطى لنا صورة عن تلك الحملات المغربية في الجزائر.

- **الصعوبات :**

- لقد تعرضنا لصعوبات في إطار هذا الموضوع ، خاصة وان المصادر والمراجع المغربية كانت تنظر إلى هذه العلاقة في إطار المصالح المغربية ، التي تؤكد دائما أن المغرب الأقصى رفض الخضوع لسلطة العثمانية ، إذ حاولنا في هذا الإطار أن نؤكد على مبدأ التضامن الإسلامي في إطار العلاقات المتشعبة لهذه الدول .

-ومن الصعوبات أيضا عدم توفرنا على وثائق ومراسلات بين حكام الجزائر وسلاطين المغرب الأقصى تعطي لنا صورة واضحة وحقيقية لتلك العلاقات في ظل الكتابات التاريخية الأخرى التي لا تخلو من الذاتية .

كما أن هذا الموضوع مدروس في إطار العلاقات العثمانية – المغربية وعليه حرصنا أن نعطى صورة للعلاقات الجزائرية – المغربية بعيدا عن إدراج الدولة العثمانية فيها كطرف أساسي بل حرصنا على اعتبارها كطرف مؤثر ودخيل عليها.

الفصل

التمهيدي

أوضاع الجزائر والمغرب الاقصى والعلاقة بينهما قبل 1519.

تمهيد:

بعد سقوط دولة الموحدين انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث دويلات متصارعة فيما بينها وهي دولة بني زيان في المغرب الأوسط ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى ودولة بني حفص في تونس ، عرفت هذه الدويلات فترة ازدهار كبير في جميع المجالات ، غير أن الصراعات التي نشبت بينهما بسبب إدعاء كل دولة بأحقية خلافة الدولة الموحدية .

وقد أدت هذه الصراعات في أخر المطاف إلى الضعف واللا استقرار ما نتج عنه تدهور في الأوضاع الداخلية وبروز الأطماع الخارجية وهذه الأحداث أثرت بشكل كبير على العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي عامة والجزائر والمغرب الأقصى بشكل خاص . وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: أوضاع البلدين.

المطلب الأول: الجزائر.

1.الأوضاع السياسية:

أ- **الضعف والاضطراب:** عرف المغرب الأوسط في ظل الوضع السياسي المتدهور عدة أزمات ناتجة عن الصراع والمشاكل الداخلية التي أدت لعدم الاستقرار وتأزم الوضعية السياسية في المنطقة فاستنزف ذلك قواها المادية والمعنوية فعجل بها للاضمحلال[1]، وإثر هذه الظروف السيئة التي أصبحت تنخر المغرب الأوسط فتح المجال للقبائل بني هلال وبني عامر لتعلن استقلالها وفرض هيمنتها، إضافة إلى القبائل الجديدة التي ظهرت في الجنوب كبني جلاب كما برزت إمارات ترفض الخضوع والرضوخ لأية سلطة مركزية كإمارة كوكو[2] التي أحدثت الخراب في النظام الإداري الذي أدى لفساد جهاز الإدارة وخللها في التحكم في الوضع السياسي المضطرب[3]، كان المغرب الأوسط ينقسم لقسمين:

القسم الغربي يسيطر عليه بني زيان[4]وعاصمتهم تلمسان ،وقد دخلت هذه الدولة في صراعات مع الدويلات المجاورة التي كانت تطمح في التوسع على حساب ممتلكات الدولة الزيانية ، بالإضافة إلى هذا الخطر الخارجي كان هناك خطر داخلي يهدد بني زيان خاصة في ظل عجزها على ضم كامل المناطق المجاورة لسلطتها كمنطقة وهران التي ميزتها علاقة سيئة

1- هوارية بكاي، "**العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين (13 - 16م)** " رسالة دكتوراه، غير منشوة،إشراف بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلوم الآثار، جامعة تلمسان، الجزائر، 2014 م، ص 35.

2- تقع قرب قرية الأصنام، منطقة جبلية وعرة، يعود فضل تأسيسها لقاضي بجاية تقع عند حدود سهول الجزائر بسهول متيجة من جهات الجنوب والشرق، يسكنها أقوام من البربر وزواوة لا يفترون عن الحرب، قلما دانوا لطاعة أمير، هم أغنياء بمواشيهم وبما يملكون من خيل معدة للحرب، **للمزيد انظر** مرمول كربخال، **افريقيا**، (تر محمد حجي وآخرون)،ج2 الجمعية المغربية للنشر والتوزيع، الرباط (المغرب الأقصى)، 1984م ص 373- 374.

3-صالح عباد ، **الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830م)**،دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2007،ص11.

4- مؤسسي الدولة الزيانية بعد الاستقلال عن دولة الموحدين ، كانت تسمى في الأول دولة بني عبد الواد التي تأسست 1230م، ثم أعلنت انفصالها سنة 1235م على يد يغمراسن بني زيان ، كثيرا ما كانت مصرحا لصراع وذلك راجع إلى موقعها المتوسط ، في الشرق الذي كثيرا ما كان محل أطماع كل من الدولة الحفصية والدولة المرينية.؛**للمزيد أنظر**، أحمد توفيق المدني **كتاب الجزائر**، دار عمر راسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 1931م، ص ،28.

اتسمت بالعداء بسبب رفضهم الخضوع والطاعة للزيانيين. فكانوا ينتخبون أعضاءهم بأنفسهم ويمارسون تجارتهم عن طريق عملية القرصنة في البحر المتوسط[1].

أما القسم الشرقي فكان تحت سيطرة بني حفص[2] خاصة بجاية وقسنطينة وكانت هذه المنطقة تشهد صراعات داخلية دائمة بين أمراء الأسر الحاكمة، إلاّ نهاية القرن 15 بدأت هذه المدن تعيش نوع من الاستقلال والانفصال عن الحكام الحفصيين[3]، كبجاية التي كانت تريد تأمين حدودها والتي وصلت حتى تلمسان، وقد استمرت السلطة الملكية في بجاية ألى غاية انتزاع الملك منهم لاحق من طرف الغزو الاسباني[4].

كما استطاعت بجاية ضم مدينة الجزائر لإقليمها بعدما كانت تحت حكم الزيانيين وأصبحت تحت حماية مملكة بجاية مع الاستقلال المركزي في شؤونها الداخلية[5].

على إثر هذه الوضعية السياسية المتدهورة بسبب الانقسامات في حكم بني زيان وبني حفص وطمع بني مرين في ضمها لإقليمها[6]، كانت البلاد المسيحية توحد صفوفها تحت راية الزواج السياسي بين ملك أرغونة " **فرديناند**" و ملكة قشتالة " **إيزابيلا** "، مانتج عنه سقوط الأندلس آخر معقل المسلمين في 1492 م[7]،وطرد المسلمين الذين لجؤوا لسواحل المغرب

---

[1]– الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، (تر محمد حجي ، محمد الأخضر)، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1983م ص 30.

[2]– ينتسبون لأبي حفص الهنتاني ومن ابن تومرت وأحد مرديه، يرجع نسبه لقبيلة هنتانة البّربرية ، استغلت ضعف الموحدين وأعلنت انفصالها بمنطقة المغرب الأدنى (تونس) والجزء الشرقي للمغرب الأوسط. **للمزيدأنظر**: شوقي عطا الله الجمل **المغرب العربي الكبير(الجزائر، المغرب، تونس، طرابلس)**، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977م، ص 26

[3]– صالح عباد، مرجع سابق، ص08.

[4]– الوزان، مصدر سابق،ج2، ص 490.

[5]– مع نهاية القرن 15 عرفت بجاية إستقلال عن الحفصيين في تسيير شؤونها الداخلية والخارجية، **للمزيد أنظر** نفسه، ص 38.

[6]– أحمد توفيق المدني،مرجع سابق، ص 32.

[7]– هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 36.

الإسلامي ومن بينها سواحل المغرب الأوسط،الذين أصبحوا ملاحقين من قبل الأسبان الذين إستغلوا الفرصة للتحرش بسواحل المغرب الأوسط[1].

ب- الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية:

لم يكتف الأسبان بطرد المسلمين، بل راحوا يغزون سواحل بلاد المغرب الأوسط وإثارة الفتن بين الأهالي وحكام بني زيان وأدت لتداخل الملك مع رعيته ما أدى لغزو البلاد من طرف الأسبان[2] ،وما زاد من تيسير مهمتهم عدم وجود ثغور محمية من طرف الزيانيين[3].

فاستولوا على المرسى الكبير عام 1505م بعد معارك عنيفة ،وفي عام 1507م هجموا على مسرغين التابعة للمرسى لكنهم فشلوا في غزوها، وبعد سنتين هاجموا وهران عام 1509م ودخلوها بسهولة نظرا للخيانة التي حدثت في صفوف القبائل ،وفي عام 1510م وجه الأسبان حملة كبيرة على بجاية واستولى عليها وأصبحت تدفع ضريبة سنوية دلالة على الخضوع والتبعية[4].

و في 26 ماي 1511م احتلت مستغانم بعد الاستيلاء على شرشال وعنابة[5]، ويذكر هايدو هايدو أن مدينة الجزائر اضطرت للخضوع للأسبان خاصة بعد نكبة بجاية[6] ، فكونوا وفد برئاسة المشيخة المستقلة بالجزائر قادها سالم التومي لعقد هدنة مع بيدرو نافارو المفوض

---

[1]- أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 33.

[2]- أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م – 1792م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1984 ، ص 66.

[3]- شوقي ضيف، **عصر الدول و الإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)**، ط1، دار المعارف، القاهرة 1995م، ص 43.

[4]- كربخال، مصدر سابق، ج 2، ص 328-329.

[5]- " Primadaïé, **Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506–1574)**, Revue Africaine. Alger, volume 19, 1875, p 73-75.

[6]- Diego de Haido, **Topographe histoire générale D'Alger**. Traduite : Mennereau et berbugger Alger , 1870, p18.

العسكري الاسباني تقتضي تقديم الولاء للأسبان مقابل عدم التعرض للمدينة وهنا استسلمت بعض الموانئ الساحلية كدلس وتنس[1].

ج- الاستنجاد بالإخوة بربروس[2]:

كانت أول اتصالات الأخوين بالجزائر عن طريق عروج عام 1512م بطلب من أهل بجاية لمساعدتهم في طرد الأسبان فلبا الدعوة، إلاّ أنهما فشلا في تحريرها، فاستعان بهم الجيجليين لطرد سكان جنوى وذلك في سنة 1514م[3].

كانت مدينة الجزائر تعيش اضطرابات بسبب الأسبان وفي 1516 م تلقى عروج رسالة من أعيان الجزائر يطلبون المساعدة ووصلته وفود تمثل المدينة ، فلبى عروج الدعوة وسار بجيش عظيم وفتحها عام 1516م[4].

كانت فتوحات الأخوين تصل حتى مملكة بني زيان بتلمسان الذين كانوا يعيشون الظلم من طرف ملكهم وحلفائه الأسبان، فطلبوا الحماية من عروج فسلك هذا الأخير وهران ودخل تلمسان عام 1517م[5]، إلاّ أن الأسبان والسلطان الزياني تمكنوا من العودة لتلمسان وقاوم عروج القوة المزدوجة حتى استشهاده في المعركة عام 1518م[6].

---

[1]-أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة ، مرجع السابق، ص 127؛ أنظر شوقي عطا الله الجهل، المرجع السابق، ص 85.

[2]- اشتهروا بهذا الاسم أي ذي اللحية الصهباء وأصلهم من جزيرة مدللي، انشغلوا بالجهاد البحري، دخلا في خدمة السلطان الحفصي بتونس ما أكسبهم شعبية، أدت لاستنجاد الجزائريين بهم. للمزيد أنظر محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، (تح إحسان حقي)، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981 م، ص 230.

[3]- مجهول، **مذكرات خير الدين بربروس**، (تر محمد دراج)، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 72.

[4]- نفسه، ص 73 - 74.

[5]-عزيز سامح الألتر ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، (تر محمود علي عامر)، ط 1، دار النهضة العربية ، بيروت 1989م، ص 61.

[6]- مجهول، مصدر سابق، ص 87.

2 – الأوضاع الاقتصادية:

إنّ الضعف والاضطراب الذي لحق المغرب الأوسط سياسيا أثر سلبا على الوضع الاقتصادي ، كما قلت عائداته، خاصة المناطق الساحلية التي كانت واجهة بحرية لنقل البضائع[1]، ففقدت السلطة أرباحها ما جعلها تفرض ضرائب على السكان لتعويضها، الأمر الذي أدى لنفور السكان وساءت أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وقد شملت جميع الميادين الاقتصادية فأصبحت تتكمش وتتراجع وتجلى ذلك في حالات الغضب والتعدي عن طريق القبائل وأصبحت السلطة غائبة عن حماية البوادي والقرى وتأمين المسالك التجارية، ما جعل الفلاحين يتركون أراضيهم ويمتنعون عن ممارسة نشاطهم الفلاحي خوفا عن أرواحهم وممتلكاتهم[2].

فالوضع الاقتصادي شمل مجالاته الثلاث وأغلب المدن المتضررة هي المدن الكبرى ذات الاقتصاد المنتج والمستهلك.

أ- الزراعة:

شكلت الفلاحة أهم القطاعات، فمدينة القل[3] الساحلية كانت تجارتها مربحة وأراضيها جبلية زراعية منتجة، شملت الحبوب والأشجار المثمرة التي كانت تصدر للدول الأوروبية والدول المجاورة كتونس، لكن بعد الاحتلال الاسباني أصبحت تحت سيطرتهم، كما مر عليها القحط الذي أثر على منتوجاتها فأصبحت الأراضي لا تنتج ما يريده السكان[4].

---

[1]- الوزان، المصدر سابق، ج 2، ص 54،

[2] - نور الدين غرداوي،"**كتب الفتاوى مصدرا لكتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمغرب الأوسط**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الرابع عشر، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012م، ص 113.

[3]– مدينة ساحلية زاهرة، سكانها من المسلمين الذين هاجروا من الأندلس. أرضها خصبة كثيرة القمح والماشية يوجد بها مرسى الاختصاص لإرساء السفن التجارية. **للمزيد أنظر:** كربخال، مصدر سابق، ج2، ص 362.

[4]– عبد الكريم حساين، "**الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (13 – 15)**"، دورية كان التاريخية، العدد 17،الكويت، 2012 م، ص 93.

كما تميزت عنابة بوضع اقتصادي زراعي كبير، وذلك راجع إلى خصوبة تربتها الصالحة لزراعة القمح ، بالإضافة إلى إشتهارها بالثروة الحيوانية الموجهة للسوق[1]، فقد تميزت منطقة المغرب الأوسط بالمحصول الحيواني وتميزت بإنتاج اللحوم والصوف، كما عرفت تلمسان والجزائر بقمحها العالي الجودة[2] ،غير أن هذه المزارع لم تعرف الأمن اللازم لقيام الزراعة وعبور القوافل التجارية ما أدى لانكماشها وقد أثار اغتصاب الأعراب وغيرهم من المعتدين في إحداث الاضطراب والبلبلة وقد تشدد سلاطين دويلات المغرب الإسلامي مع الرعية وخضوعهم للأعراب وتمهيدهم لاستحواذهم على كثير من الأراضي فظهر الإقطاع الذي غلّب المصلحة الخاصة على العامة.[3]

ب- الحرف:

كانت الصناعة تقوم على النشاط اليدوي التقليدي كصناعة الجلود والأقمشة والألبسة وصناعة لوازم المراكب من السفن والخيل وصناعة الأدوات المنزلية الخزفية والزجاجية[4] فالصناعة كان لها نصيب واسع في اقتصاد المنطقة كصناعة الحديد في منطقة هنين[5] وكان السكان يعجبون بالصناعة، فكان ملوك بني زيان يعتنون بالصناعات كصناعة الفخار ونقش الخشب وتزاول حتي في المنازل، لكن بعد التدهور الذي لحق المنطقة ابتعد الناس عن هذه الصنعة و ما جعلها باقية هي هجرة الأندلسيين للمغرب الأوسط الذين تبنوا هذه الحرفة وساهموا في بقائها[6].

---

[1]- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 62.

[2]- مصطفى علوي ، "**الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة**"، دورية كان التاريخية، العدد 14، الكويت،2011م، ص 87.

[3]- نور الدين غرداوي، مرجع سابق، ص 113.

[4]- عبد الكريم حساين، مرجع سابق، ص 94.

[5]- مدينة واقعة على الساحل، أسسها الأفارقة لها أسوار متينة وميناء محصن، آهلة بالتجار و الصناع، إذ كانت سفن البندقية تتحدر إليها كل سنة عند ذهابها لتلمسان. **للمزيد أنظر** كربخال،مصدر السابق، ج2، ص 296.

[6]- مصطفى علوي ، مرجع سابق، ص 88.

كما كانت حركة التصنيع تعتمد بالأساس على الموارد الطبيعية النباتية والحيوانية كالدوم والحلفاء والقطن والمعادن كالذهب خاصة في تلمسان، فقد أنشأ الملوك الزيانيين دار للصناعة وشجعوا محترفيها ووضعوهم في مرتبة الأشراف، لكن بعد الغزو الأسباني أصبحت الصناعة في أيدي الفقراء الذين اتخذوها لكسب العيش لا غير[1].

ج- التجارة:

يذكر الوزان في كتابه " .....**كانت وهران تبدو في نهاية القرن الخامس عشر في صورة جمهورية تجارية حقيقية مستقلة** "[2]، فقد كانت التجارة تعتبر مورد لخزينة الدولة، حيث كان لها مردود كبير وكانت مداخيله من المدن الساحلية الكبرى، فقد كان لوهران ميناء شهير يعرف بميناء وهران وكان يأتي إليه عدد وافر من تجار جنوة الايطاليين حيث كانوا يتعاطون التجارة عن طريق المقايضة[3] ،

كما كانت لجيجل علاقات تجارية واسعة مع تونس فكان يكثر فيها الحبوب والأقمشة التي كانت تصدر إلى تونس التي كانت تجلب القمح والشعير لمدينة الجزائر لتصديرها[4].

ومن الموانئ التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية هي المرسى الكبير فقد كان شريان النشاط الاقتصادي ومركز اتصال بالعالم الخارجي[5].

1- عبد الكريم حساين، مرجع سابق، ص 95.

2- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 30.

3- نفسه، ص 30.

4- مصطفى علوي ، مرجع سابق، ص 90.

5- عبد الكريم حساين، مرجع سابق، ص 97.

ومن المدن الكبرى التي عرفت نوعاً من الازدهار مدينة بجاية وذلك راجع إلى أنها كانت مركزا للتبادل التجاري بين المناطق الداخلية وأوروبا، كما لعبت سياسة المودة التي أقرها الأمير الحفصي ببجاية دور آخر في ازدهار هذه المدينة، لكن هذه السياسة دفعت أهالي المدينة إلى الطمع في الثراء فكانوا يغيرون على السواحل الأجنبية[1] .

أما عن الموارد التي كانت تشتهر بها المدينة فتمثلت في المنتوجات الخشبية والحريرية التي كانت تصدر إلى أوروبا أماهي فتستورد أهم ما كانت تحتاجه[2].

لكن مع الغزو الأسباني وتدهور الوضع الداخلي، تدهورت معه الأوضاع الاقتصادية بعد سيطرة الأسبان على الطرق التجارية والموانئ للقسم الغربي والشرقي للمغرب الأوسط.[3]

فأصبح السكان يعيشون الفقر والضياع بسبب السياسة المجحفة التي قضت بسيطرة الأسبان على الموانئ والموارد، كما أصبحت الأراضي الزراعية لا تنتج ما يكفي للتصدير وصارت منتوجاتها للاستهلاك فقط[4].

كانت الغرامة المالية التي فرضتها الأسبان تثقل كاهل السكان ما دفعهم للتهرب من دفعها فنتج عنه الضائقة الشديدة فأصبح المغرب الأوسط يعيش الحرمان والجوع.[5]

3- الأوضاع الثقافية:

كانت مملكة تلمسان من الدول الراقية أدبيا وعلميا وأصبحت مركز ثقافة وعلم وأدب واجتمع فيها رجال الأدب والفن ،[6] فقد ساهم العلماء في ازدهار الحياة العلمية بالتدريس وبث

---

[1] – كربخال، مصدر سابق، ج2، ص 378 .

[2] – أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة ، مرجع سابق، ص 137، **للمزيد أنظر** صالح عباد، مرجع السابق، ص 14 15.

3- كربخال ، مصدر سابق ، ج2، ص378.

[4]- الوزان، مصدر السابق، ج2، ص50.

[5] – أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة، مرجع سابق، ص138.

[6] – أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص90.

العلم والمؤلفات وشاركوا في المناقشات العلمية مع نظرائهم وكانوا يقومون بالمناظرات في قصر السلطان الزياني لحل بعض القضايا المحلية كقضايا الميراث.[1]

كما قام سلاطين بني زيان على استقطاب العلماء بتشييد المساجد والمدارس،[2] لكن في ظل الوضع السياسي المشتت والضعيف والأزمة الاقتصادية والوفود الأندلسية على المنطقة أثر على الجانب الثقافي ببروز عدّة ظواهر ميزت الحياة الثقافية وهي:

أ- العلم والعلماء:

فأغلب العلماء الكبار هاجروا إمّا للمشرق أو المغرب، وربط آخرون مصيرهم ببعض الأمراء وانزوى آخرون مفضلين حياة العزلة والزهد، وقد خسرت منطقة المغرب الأوسط عالم جليل هو المفكر محمد بن الكريم المغيلي[3] الذي هاجر من تلمسان للسودان الغربي، وأحمد بن يحي الونشريسي[4] الذي هاجر لفاس لأسباب سياسية، وكان الشعراء يُسخرون شعرهم لسلاطين وملوك بني حفص وبني طاس.[5]

---

[1]- نبيل شريخي،" **المناظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (14 – 15م)**"، دورية كان التاريخية، العدد 13، الكويت،2011 م، ص62.

[2]- شوقي ضيف، مرجع سابق، ص 80.

[3]- هو فقيه، مفسر، متكلم، نسبه لقبيلة مغيلة البربرية، نشأ بتلمسان ، ناوء اليهود في توات أدت لقتلهم وهدم كنائسهم، زار بلاد السودان في رحلاته كان ينشر أحكام الشرع، توفي في توات من مؤلفاته " البدر المنير في علوم التفسير "، **للمزيد أنظر:** عادل نويهض ،**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر والتوزيع، بيروت،1980م، ص 308 .

[4]- هو فقيه كبير، حامل لواء المذهب المالكي، من أهل تلمسان ونشأ بها، حصل له مشاكل مع السلطان، ففر لفاس واستوطنها، فكان عالما ومدرسا بها من آثاره " المعيار المعرب "، **للمزيد أنظر**، نفسه، ص 344.

[5]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 78.

ب- الحواضر الثقافية:

كانت لهجرة الأندلسيين أثر كبير على المجتمع الجزائري، فبعد أن تدفقت أعداد هائلة من المهاجرين وكانت هذه الفئة متنوعة في ثروتها وثقافتها، ففيهم الشعب البسيط وفيهم أحفاد الملوك الوجهاء وكانت الفئة الأندلسية خيرا على مجتمع المغرب الإسلامي[1].

فقد شهد المغرب الأوسط بوصولهم حركة علمية وتعليمية واسعة، فكانوا يؤسسون جمعيات خيرية للإنفاق على الفقراء الدارسين وإنشاء المدارس كمدرسة الأندلسيين بالجزائر[2].

فاحتكروا التعليم خاصة في الحواضر وأضافوا علم الحديث وروايات القرآن ونشروا خطهم الأندلسي، وكانوا يعتمدون في التعليم على النقل والرواية لا على الرأي والاجتهاد[3].

ج- انتشار الزوايا والتصوف:

ميز مطلع القرن 16م الجمود الفكري، حيث اعتكف العلماء والمتعلمون على العلوم النقلية تاركين العقل جانبا إضافة لاشتداد الأزمة السياسية واشتداد نفوذ المرابطين والصلاح والزهاد جعل الناس يقبلون على الطرق الصوفية جموعا[4]، ولعل التصوف مبالغا فيه من ناحية الاعتقاد بالشيخ وما أدى لغلق باب الاجتهاد وأصبحت الزاوية تنافس المدرسة في كسب الأنصار وكان فيها يدفن الشيخ الصالح ويقصده الناس للتبرك وأصبحت الحركة الصوفية تنتشر على يد كبار الأولياء.[5]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م، ص 46.

[2] – شوقي ضيف،مرجع سابق، ص 84.

[3]- أما التعليم العالي فقد كان يعطى في المساجد والزوايا ودور العلماء ويعهد لكبار العلماء الذين كانت الأماكن العامة تحت سلطتهم أي الأندلسيين. **للمزيد أنظر:** سعد الله، مرجع سابق، ج 1، ص 47.

[4]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع السابق، ص 91.

[5]- فأصبح الناس يبتعدون عن العلماء المتنورين ويلتفون حول الشيخ تغلب عليه الخرافة، وهكذا تدهور مستوى التعليم وأصبحت البساطة في آراء وطرق التعليم حتى لا يفر الطلبة للزوايا فقد كان التنافس من أجل البحث عن الأتباع وضمان لقمة العيش وليس من أجل رفع مستوى التعليم أو ترقية الحياة الفكرية. **للمزيد أنظر:** أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ، ج 1 ص 49.

المطلب الثاني: المغرب الأقصى.

1- السياسية:

أ- تأسيس الدولة الوطاسية:

تميزت الدولة المرينية بكثرة الصراعات سواء داخل الأسرة الحاكمة أو مع القوى المجاورة ما أدى لضعفها وانحطاطها[1] خاصة بعد وصول عبد الحق المريني للحكم[2]، وهو ما يزال صبيا ما أدى لوصول السلطة ليد أبا زكريا الوطاسي كوصي الذي عمل على تثبيت الحكم[3]، لكن بعد بلوغ عبد الحق المريني سن الرشد أصبحت السلطة في يده ، إلا أن فترة حكمه شهدت أزمات سياسية انتهت بإطاحته إضافة إلى وصول العنصر اليهودي للسلطة وفرضه الضرائب على السكان أدى لحدوث ثورات ضده خاصة عند تقاعسه في صد البرتغاليين من المدن الساحلية كسبتة ومليلية[4] ،هذه الأحداث أدت لمقتله على يد أحد سكان فاس الشريف أبى عبد الله الذي أعلن نفسه سلطان على المغرب عام1464 م[5].

في هذه الأثناء ظهر محمد الشيخ الوطاسي[6] الذي كان مستقر بأصيلا بعدما ضاق الويلات الويلات من عبد الحق التي أدت لفقدانه عائلته، فاستغل الضعف داخل البيت المريني والفتن

---

[1]- أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة ، مرجع سابق، ص .64

2- آخر ملوك الدولة المرينية، ثار عليه أهالي فاس، قتل سنة 1464 بعد فشله في التصدي للبرتغال والأسبان، **للمزيد أنظر:** أحمد ابن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام لمدينة فاس**،ج2 ،دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1973م، ص388.

[3]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ** ، ج2، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 2000 م، ص61.

[4]- محمود علي عامر ،محمد خير فارس، **تاريخ المعرب العربي الحديث، المغرب الأقصى**، جامعة دمشق، سوريا،1999 ص26.

[5]- كربخال ، مصدر سابق، (ج1)، ص 424.

[6]- هو مؤسس الدولة الوطاسية التي ظهرت على أنقاض الدولة المرينية، حاول تبني الجهاد ضد الغزو الأجنبي، إلا أن الضعف الذي لحق البلاد أدى إلى فشل مهمته ، **للمزيد أنظر** ، أحمد بن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، المج 2، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1971 م، ص 145.

الخارجية والداخلية كفتنة الشاوية 1442 م التي خربت المدن، فأعلن محمد الشيخ ثورة على الشريف أبى

عبد الله سنة 1470م وقد إستطاع الاستلاء على مدينة فاس سنة 1471م معلنا بذلك عن تأسيس الدولة الوطاسية[1].

عرفت الدولة الوطاسية ومنذ تأسيسها ظروف صعبة بسبب تمزق الوحدة السياسية ، وذلك راجع إلى انقسام السلطة المركزية بفاس والقبائل المستقلة المنتشرة في مراكش وغيرها والتي تبنت الجهاد ضد الاحتلال الاسباني[2]،و كانت هذه القبائل كثيرة التمرد على محمد الشيخ الوساطي الذي بدوره استطاع إخمادها بقيادة ابنه الأمير يحي الوطاسي في 1499م.

وقد صور لنا الكراسي هذه الثورات في حادثتين مهمتين في إحدى إجازاته فقال:

" **وثار في شفشاون وصالا ذاك الشريف العام المثالا** "

أمّا عن ثورة دبدو فيقول:

" **وثار في دبدو بذاك الحين محمد بن أحمد المريني.** "[3]

ب- التنافس الأسباني- البرتغالي على الثغور المغربية:

أدى الضعف الداخلي لبني وطاس وكثرة الثورات الى ظهور التنافس الأسباني البرتغالي على سواحل المغرب الأقصى، وكانت البرتغالي أولى من طمع في الثغور المغربية عام 1457م باحتلالها مدينة القصر الصغير،[4] ثم توسعت لباقي المدن كأصيلا 1471 م مستغلتا الصراع

---

[1]- أبو العباس أحمد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج4، (تح جعفر الناصري، محمد الناصري) دار الكتاب الدار البيضاء، 1997، ص116.

[2]- الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 142- 143.

[3]- عبد الله محمد الكراسي، **عروسة المسائل فيما لبني وطاس من المسائل**، المطبعة الملكية، الرباط، 1967 م، ص 5 6 ؛الوزان مصدر سابق، ج 2، ص353.

[4]- محمد بنتاويت، "**فاس جولة في أحداثها الكبرى**"، مجلة المناهل ، العدد 05، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط، مارس 1976 م، ص 194، **للمزيد أنظر** الملحق رقم 1.

الداخلي بين محمد الشيخ الوطاسي والسلطان المريني، في ظل هذا الصراع هادن محمد الشيخ الوطاسي البرتغال للوصول للسلطة بفاس واستطاعت البرتغال أسر ابنه محمد المعروف بالبرتغالي مقابل عدم الاعتراض للقوات البرتغالية في فاس مع إبقاء إبنه محمد أسير لديهم[1].

هذه الهدنة شجعت البرتغال للتوسع في السواحل المغربية واستطاعت تطويق أغلبية الشواطئ خاصة بعد الاستيلاء على ميناء العرائش [2]، في هذه الأثناء رأى محمد الشيخ الوطاسي ضرورة التحالف مع ملك إسبانيا فرديناند الذي بدوره كان منزعجا من النفوذ البرتغالي في المنطقة وعليه حدث تقارب وطاسي إسباني 1476م هدفه القضاء على الوجود البرتغالي في مدينة سبتة الساحلية[3].

وقد أدى هذا التحالف الى ظهور رغبة إسبانيا في التوسع في الأراضي المغربية فاحتلت منطقة واد نون المغربية التي اعتبرتها البرتغال دائما منطقة تابعة لها وهنا برز النزاع بين القوتين المسيحيتين[4] ، الأمر الذي أدى لتدخل بابا روما لحله بعقد معاهدة طليطلة لفض النزاع حول وراثة العرش القشتالي في 1480م ، وكانت مملكة فاس والساحل الإفريقي من نصيب البرتغال بينما الأسبان كانت من نصيبها جزر الكناري[5].

ولما كانت المناطق الساحلية أكثر المناطق المتنازع عليها قامت البرتغال بشن حملات عسكرية متكررة من 1481م حتى 1486م [6]خارقة بذلك معاهدة طليطلة، فعاد الصراع من جديد خاصة بعد سقوط الأندلس بيد الأسبان 1492م.[7]

---

[1]– شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 49– 50.

[2]– محمد بن تاويت،مرجع سابق، ص 194.

[3]– شوقي عطا الله الجمل،مرجع السابق، ص49.

[4]– عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية (دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية)** ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006م، ص 09.

[5]– عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المج 7، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية مصر، 1988م، ص 234 –235.

[6]– الناصري، مصدر سابق، ج 4، ص 137.

[7]– عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص 235.

وأمام هذا الوضع اضطر البابا أكسندر السادس الذي اشتهر بقسوته في تنظيم الحروب الصليبية، إلى إصدر قرارا في 14 ماي 1494م اعترف فيه بممتلكات إسبانيا في الساحل الأطلسي، وقام بعقد معاهدة توردیسلاس"TORDESCILLAS" في جوان 1494م معترفا بأحقية البرتغال أيضا في منطقة المحيط الأطلسي، وقد شجعت هذه المعاهدة إسبانيا على إرسال حملة على مدينة مليلية في سبتمبر 1497م.[1]

بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح تمكنت البرتغال للوصول إلى الهند وكان يتوجب عليها المرور بالقرب من جزر الكناري الإسبانية وإقامة حصون بجانبها لحماية منتوجاتها الهندية من الاسيان[2] ، فاحتلت مدينة ماسة سنة 1497م ،الأمر الذي أدى لاستئناف الصراع بينهما[3].

في ظل هذا الصراع القائم بين القوتين المسيحيتين على الثغور المغربية، توفي محمد الشيخ الوطاسي سنة 1504م، وخلفه ابنه محمد البرتغالي،[4] الذي عرف بحبه للجهاد ضد البرتغال بسبب أسرهم له[5]، غير أن فترة حكمه تميزت بإزدياد النفوذ البرتغالي في المغرب الأقصى وأصبحت القبائل موالية للسلطة البرتغالية التي كانت أغلبها من إقليم حاحا ومراكش تتحالف معهم ضد محمد الشيخ البرتغالي وتدفع إتاوات للملك البرتغالي مقابل حمايتها[6].

كما شهدت فترة حكم محمد البرتغالي نهاية الصراع الأسباني البرتغالي بتوقيع معاهدة سنترا سنة 1509م التي قسمت مناطق النفوذ بينهما، فكانت للأسبان منطقة مليلية وحجر بادس بينما البرتغال أخذت المنطقة الواقعة غرب بادس واحتفاظ الأسبان بنفوذها في حصن سانتاكروز[7].

---

[1]– Henry de Castries, les sources inédites l'histoire de Maroc 1ère série, dynastie sadienne, archives et Bibliothèque, Espagne, Tome 1, Paris, 1921, p 04.

2– الناصري، مصدر سابق، ج 4، ص 136 – 137.

[3]– عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 12.

[4]– هو ثاني السلاطين الوطاسيين، ابن محمد الشيخ الوطاسي، بويع بعد وفاة والده سنة 1504م، لغاية وفاته عام 1524م يعرف بالبرتغالي نسبة للسبع سنوات التي قضاها أسيرا عند البرتغاليين. **للمزيد أنظر:** أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس مصدر سابق، ص 212.

[5]– محمد خير فارس، مرجع السابق، ص27.

[6]– وزان، مصدر سابق، ج2، ص 144 – 145.

[7]– عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص 158.

قامت البرتغال بتجهيز حملة على أزمور سنة 1510م بحكم موقعها ونشاطها الاقتصادي الواسع الذي أغرى ملك البرتغال إمانويل الذي عرف بكثرة حملاته على المغرب الأقصى وجعله يفكر في الاستيلاء عليها بعد الحملة،[1] مستغلا النزاع الذي نشب بين محمد الشيخ الوطاسي وأبي زيان الوطاسي ابن عمه الذي كان حاكما على مكناس والشاوية.

فقام الملك البرتغالي إمنويل بالتحالف مع أبي زيان الوطاسي، غير أنه فشل في حملته[2] وعاود الكرة عام 1513م وتمكن من احتلالها في شهر سبتمبر من نفس السنة[3].

لقد حاول محمد الشيخ منذ توليه الحكم تحرير بعض المدن لكنه لم ينجح ، ففي 1508م حاصر مدينة أصيلا، لكنه لم يتمكن من تحريرها وذلك راجع لقوة المساعدات البرتغالية، الأمر الذي اضطره لفك الحصار، وهنا عملت البرتغال على تحصين المدينة لقطع الطريق في وجه محمد الشيخ البرتغالي الذي حاول تحريرها مجددا عام 1515م[4].

ج- تأسيس الدولة السعدية:

في ظل الظروف الصعبة التي أصبح يعيشها المغرب الأقصى وعجز محمد الشيخ البرتغالي في صد الخطر البرتغالي الذي انتشر في سواحل المغرب الأقصى خاصة الجنوبية، الأمر الذي أدى بالأهالي خاصة منطقة سوس لتوحيد جهودهم للوقوف في وجه المد البرتغالي فالتفتوا حول الأئمة ورجال العلم[5].

---

[1]- الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 158.

[2]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 58.

[3]- كربخال، مصدر سابق، ج2، ص 203 – 204.

[4]- الناصري، مصدر سابق، ج4، ص 142.

[5]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 34.

ومن بينهم محمد بن محمد بن عبد الرحمان القائم بأمر الله[1] صاحب درعة ، ليقود الجهاد ضد البرتغال وتمت مبايعته عام 1510م[2]، ويقال أن أصله من الأشراف من الرسول صلى الله عليه وسلم من محمد النفس الزكية،وهناك من يرجع نسبهم إلى بني سعد بن بكر من هوازن قبيلة حليمة السعدية[3]، قدموا المغرب الأقصى حوالي سنة 1232م واستقروا بدرعة الجنوبية واتخذوا لأنفسهم زاوية تكمادارت[4].

بعد مبايعته حاصر حصن أغادير، لكنه فشل في استرجاعه ولأجل تعبئة جيوشه فرض ضرائب على أهل سوس ، واتخذ مدينة تيدسي عاصمة له وفي سنة 1514م دخلت ترودانت تحت طاعته[5].

في سنة1517 م توفي القائم بأمر الله فخلفه ابنه أحمد الأعرج الذي عرف بجهاده ضد البرتغال و القبائل الموالية له وقد لجأت البرتغال بمنطقة السوس إلى ضرب قوات أحمد الأعرج عن طريق القبائل التي كانت مستعدة لتقديم كل ما تملك للبرتغاليين وملكهم إمانويل للوقوف في وجه أحمد الأعرج ومن بينها قبائل عبدة ودكالة ، والذي يؤكد لنا هذا هي تلك المراسلات التي جمعت زعيم قبيلة عبدة الشيخ سعيد والملك إمانويل،ومن بينها الرسالة مؤرخة في 03 جويلية1516م التي أبدى فيها الشيخ سعيد استعداده للتحالف مع الملك إمانويل للتخلص من أحمد الأعرج، الأمر الذي جعل أحمد الأعرج يسرع في إحباط ذلك التحالف عن طريق الإغارة على هذه القبائل ،وقد استطاع تحقيق عدة انتصارات عليهم ما زاد من شعبيته [6].

2- الأوضاع الاقتصادية:

---

[1]- نشأ بدرعة المغربية التي تقع جنوبا، أصبح واليا على زاوية تاكمدرات بعد وفاة أبيه، له شهرة واسعة في منطقة سوس يرجع أصله للإشراف ما جعل أهل سوس يبايعونه. للمزيد أنظر: العباس بن إبراهيم السملالي، **الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام**، ج 5، (راجعه عبد الوهاب ابن منصور)، ط 2، المطبعة الملكية، المغرب، 1993، ص 111 – 112.

[2]- إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 244.

[3]- الناصري، مصدر سابق، ج5، ص 03 - 04 .

[4]- أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، (تقد وتح: رشيد الزاوية)، ط 1، مطبعة الأمة الرباط، 2008 م، ص 74.

[5]- الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 118.

[6]- De Castries, Op, cit, T/ 2, p 16.

إذا كانت الأوضاع السياسية توصف بالتدهور والانحطاط، فالحالة الاقتصادية مشابهة لأن الوضع الاقتصادي تأثر بشكل كبير بالأوضاع السياسية الداخلية والخارجية من غزو أجنبي.

أ-التجارة:

لقد شلت التجارة بسبب التوسع البرتغالي في المنطقة ما أدى لضعف الروابط الاقتصادية بين المغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصحراء، كما أن تحالف القبائل مع البرتغاليين وجه التجارة لصالحهم[1]، وما زاد الأمر سوءا هو احتلال الموانئ الساحلية كأزمور والعرائش وآسفي التي كان لها دور تجاري هام حتى نهاية القرن 15م، وأصبحت هذه المدن بعد الغزو قاعدة للتجار البرتغاليين.[2]

فمرسى أغادير بعد استيلاء البرتغال عليه أثر على اقتصاد المغرب لأنه كان بمثابة منفذ لعبور السفن التجارية ومرفأ للسفن الأوروبية التي كانت تدر أرباحا على أهل أغادير، لكن البرتغال أعاقت هذه الحركة وأصبحت تفرض الضرائب على السفن الداخلة والخارجة من الميناء.

ومما زاد الأمر سوءا هو اكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي ساهم في تحويل الطرق التجارية من المغرب الأقصى إلى الرأس وعليه استطاعت البرتغال محاصرة الاقتصاد المغربي وشل حركته الخارجية وقضت على الطرق الصحراوية واستبدلتها بطرق بحرية.[3]

لم تكتف بهذا فلجأت لفرض الضرائب على القبائل المغربية التي أثقلت كاهلها، كقبائل أزمور الذين أصبحوا حائرين في كيفية دفع هذه الضريبة السنوية[1]، أما آسفي فقد أصبح أهلها مجبرين على دفع ضريبة تقدر بثلاثمائة مثقال من الذهب.[2]

1- عبد الكريم كريم ،المرجع السايق ، ص 14.

2- شوقي عطا الله الجمل، "**صفحات من تاريخ البرتغال الاستعماري في المغرب العربي في ضوء وثائق الأرشيف البرتغالي**" ، مجلة الدراسات التاريخية الإفريقية، العدد 04، معهد البحوث الإفريقية، القاهرة، 1975م، ص 17.

3- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 31 – 32.

ب- الزراعة:

رغم تأثر المجال التجاري، إلاّ أن النشاط الزراعي ظل قائما نوعا ما، بسبب أن المغرب الأقصى يعرف بثورته الزراعية، ويظهر ذلك من خلال الوصف الدقيق الذي قدمه الحسن الوزان، فهو يذكر أن المغرب الأقصى كان يدر محاصيل زراعية تلبي حاجيات المجتمع المغربي كافة.[3]

فالمنطقة الشمالية مثلا التي تضم إقليم فاس اشتهرت بإنتاج الحبوب خاصة القمح والشعير وكانت تباع بأثمان باهظة، كما اشتهر الإقليم بوفرة أشجار الزيتون التي كان يصنع منها الصابون، إضافة إلى شجر الكتان المستعمل لصناعة القماش[4].

كما اشتهرت المنطقة الجنوبية بإنتاج قصب السكر خاصة بمنطقة سوس وكانت تحول لمادة استهلاكية، إضافة لإنتاج ملح البارود،[5] لكن مع مطلع القرن 16 تراجع الإنتاج الزراعي بسبب زيادة المد البرتغالي فمثلا مدينة أصيلا التي كانت مشهورة بأراضيها الخصبة، لم يعد سكانها يستطيعون زراعة سوى مساحة قليلة بسبب خوفهم من الوجود البرتغالي في المنطقة.

ولقد كان للفتن الداخلية دور آخر في تراجع الإنتاج الزراعي، بسبب التمردات التي كانت من طرف القبائل والتي أدت لهجرة السكان من المدن والقرى إلى الجبال، الأمر الذي أدى لتقلص

4- De Castries, Op, Cit,T/1,p11 .

5- ibid. P28.

[1] – الوزان، مصدر سابق، ج 1، ص 96.

[2] - نفسه، ص 335 – 336.

3- De Castries, Op, Cit, T/1,p11 .

[4]– محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 31 ؛ إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 214.

المساحة الزراعية وتحول الفرد المغربي من شخص مزارع لفرد بدوي يعتمد على الرعي في حياته المعاشية[1].

3- الأوضاع الثقافية:

أ- العلم والعلماء:

تميزت الحياة الثقافية في المغرب الأقصى قبل سنة1519م، بتراجع ملحوظ بل بوقوف كلي حيث عرفت اضطرابات كانت بسبب تأثرها بالحياة السياسية والاقتصادية السيئة التي أصبح المغرب الأقصى يتخبط بين طياتها،[2] كما تميزت الحياة الثقافية باختلاف حالتها من مدينة إلى أخرى، فمثلا مدينة فاس عرف عليها بأنها كانت من أهم المدن العلمية في ذلك الوقت، وكانت من أهم المدن التي يرتحل إليها العديد من العلماء ،ولعل ذلك راجع إلاّ أنها كانت عاصمة الدولة الوطاسية لأن سلاطين هذه الدولة عرف عليهم محاولتهم إحياء الأوضاع الثقافية في مدينة فاس.

ويظهر هذا من خلال انتشار أوقاف الكراسي العلمية التي انتشرت كثيرا في المدينة وخاصة في جامع القرويين ، ومن أشهر تلك الكراسي نذكر كرسي ابن غازي لتدريس الحديث، وكرسي عبد الواحد الونشريسي،[3] كما انتشرت في مدينة فاس المدارس التي كان عددها يفوق مئة مدرسة لتعليم الأطفال، بالإضافة إلى انتشار المكتبات والخزانات التي كانت تضم أنفس الكتب وأشهرها.

---

[1]- عبد الله كنون ،النبوغ المغربي في الادب المغربي ، ج1، ط2، طنجة ، المغرب ، 1960 ،ص260.

[2] – هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد اليفريني الشهير بالمكناسي، قاضي الجماعة ومفتي مدينة فاس، **للمزيد أنظر** عبد الهادي التازي ، **جامع القرويين** ، مجلد 2، ط 2، دار النشر المعرفي، الرباط، المغرب، 2000م، ص 370 .

وانتشار المجالس العلمية التي كانت تقام بجامع القرويين، ومن أشهر علماء فاس في هذه الفترة نذكر أبي عبد الله محمد بن القاضي المكناسي،[1] والخطيب ابن غازي، أما عن طريقة التعليم في هذه المدينة، فكانت تقليدية، اعتمدت على الحفظ والتلقين واقتصرت على دراسة النحو وعلوم الفقه، مع غياب تام للمواد العلمية.[2]

ب- الحواضر الثقافية:

من أهم المدن الثقافية في المغرب الاقصى إلى جانب مدينة فاس نجد مدينة تطوان التي عرفت عودة الحياة الثقافية من جديد خاصة بعدما التجأ إليها المهاجرين الأندلسيين الذين عرفوا بمستواهم العالي من التقدم الفكري والحضاري[3] ، غير أن مدينة مراكش لم تستطع المحافظة على حواضرها الثقافية بسبب الوضع السياسي المتأزم .

وقد أعطى لنا الحسن الوزان وصفا دقيقا لما آلت إليه الحياة الثقافية فيها فذكر: "... **والقصر الذي كانت فيه خزانة الكتب استعمل جناح منه للدجاج وأخرى للحمام، وأصبحت الخزانات التي كانت توضع فيها الكتب أقفاصا لهذه الطيور ...** ".[4]

ج- انتشار الزوايا و الرباطات:

عرفت هذه الفترة انتشار الزوايا والرباطات التي ارتبطت بالحركات الصوفية وانتشر العديد من الأئمة والمشايخ من علماء الدين وعرفوا بالزهد،[5] وتبنوا فكرة الجهاد ضد البرتغال وأصبحوا

---

[3] – الحسن السائح، **الحضارة الاسلامية في المغرب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986، ص 260 261.

[4] – عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 20.

[1]– عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 20. الوزان ، مصدر سابق، ص 134.

[2]– الوزان ، مصدر سابق، ص 134.

3–عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص20.

4– هو فقيه من مكناس ، استدعاه محمد الشيخ الوطاسي سنة 1486 للخطابة في جامع فاس الجديدة، ثم عينه إماما وخطيبا بمسجد القرويين، هو من أبناء مكناسة تربى بها، توفي عام 1513م. **للمزيد أنظر:** محمد ابن غازي العثماني **الروض الهتون في أخبار مكناس الزيتون**، (تح عبد الوهاب ابن منصور)، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1988 أنظر: مقدمة المحقق.

يدعون للجهاد وطرد المحتل وأصبحوا يشاركون بأنفسهم في المعارك،ويعتبر ابن غازي[1] من أهم صلحاء المغرب الأقصى في تلك الفترة .[2]

ومن أهم الطرق الصوفية التي انتشرت بالمغرب الأقصى الطريقة الجازولية ، وما يعيب هذه الطرق الصوفية هو انتشار الخرافات بين الناس الذين أصبحوا يعتقدون أن لهؤلاء الصلحاء معجزات وخوارق لا يتقبلها العقل، هذا الأمر دفع سلاطين الدولة الوطاسية للتقرب منهم وإرضائهم فتأثروا بهم وأصبحوا يستشيرونهم في أمور الحكم والجهاد مثلما حدث لمحمد الشيخ الوطاسي .

ومن أشهر الرجال الذي نشر البدع والخرافات عمر بن سليمان السياف[3] الذي ظهر ببلاد السوس وادعى النبوة وهذا راجع لخروج الطرق الصوفية عن مسارها الحقيقي[2].

---

[5]– إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 187.

1–هو عمرو بن سليمان الشيظمي المغيطي المعروف بالسياف ، كان من تلامذة الشيخ ابي عبد الله محمد بن سليمان الجازولي ، ثار سنة 14 ضد سلطة محمد الشيخ الوطاسي وإدعى أنه يريد الثأر لمقتل الشيخ الجازولي ، عرف عليه نشر الخرافات بين الناس وإدعائه النبوة ، توفي مقتولا سنة 14 وقد أختلف فيمن قتله ، **للمزيد أنظر:** الناصري، مصدر سابق ج 4، ص 122.

2– نفسه .

المبحث الثاني: العلاقة بينهما قبل 1519.

المطلب الأول: العلاقات السياسية.

كانت علاقة المغرب الأوسط مع المغرب الأقصى دائمة المد والجزر، تتقلب حسب الظروف لكل من البلدين وتتكيف بالعوامل الداخلية والخارجية، فتنعكس على العلاقة السياسية بينهما.[1] ففي مطلع القرن16 تميزت العلاقة السياسية بين المغربين بالتباين والتشابك والتعقيد وذلك نظرا للأوضاع السياسية والقوى التي كانت قائمة وبروزها في القرن 16م[2]، حيث كان المغرب الأوسط تحت سيطرة ثلاث قوى (الزيانيين – العثمانيين – الأسبان)، أما المغرب الأقصى فكان يتشكل من أربعة قوى هم (الوطاسيون – السعديون – الأسبان والبرتغال) وأمام هذا الوضع السياسي اختلفت المصالح وتعددت، فصارت العلاقة غير واضحة وثابتة يشوبها المؤامرات من جهة والتحالفات من جهة، فيتحالف الأعداء ويختلف الأخوة[3].

فلقد تميزت إستراتيجية الأسبان بمخطط يستهدف ضرب العلاقات بين البلدين وإثارة البغضاء بين مملكة تلمسان ومملكة فاس، حتى ينشغل الجانبان بالصراع والنزاع ويغضوا النظر عن مساعدة الأندلسيين.

---

[1]– عبد الكريم الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج 3، ط 1، شركة فاس للطباعة، مصر، 2006، ص 134.

[2]– للمزيد أنظر الأوضاع السياسية لكل من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى في المبحث الأول

[3]– هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 492.

وبالرغم من انشغال مملكة فاس بمواجهتها ضد العدو المحيط بها، نجدها تمد يد العون للجزائر خصوصا عندما داهم الأسبان سواحل الجزائر وكان المغرب يتناسى متاعبه للتنفيس عن الجزائريين وتنسيق دفاعه أيضا ، فنرى السلطان الوطاسي محمد البرتغالي يبعث بمركبين في سنة 1514م للاتجاه نحو الجزائر، ونظرا لخوفه من تعرضهما لهجمات القراصنة، أرسل للملك البرتغالي يطلب منه الوصاية بعدم التعرض للمركبين[1].

فقد سعى الوطاسين لإقامة علاقات تخدم مصلحتهم تتميز بحسن الجوار مع سلاطين تلمسان فنجدهم يأوون الأمراء الزيانيين الفارين من بطش الأسرة الحاكمة أو الطالبين للعون ضد القوى الجديدة المتمثلة في الأخوين بربروس، فكان هدف الوطاسيين من الحذر في علاقاته هو الخوف على حدوده الشرقية فرأى ضرورة تأمينها.[2]

كما يظهر اهتمام بني وطاس بالجزائر عن طريق الرسائل التي كانت تبعث لملوك تلمسان ولعل مجيء العثمانيين أدى لاضطراب الأمور بين المغربين بسبب فتوحاتهم وتوسعاتهم في المغرب الأوسط.[3]

ولعل أبرز مثال على إيواء الأمراء الزيانيين لدى ملوك فاس هو الصراع الذي حدث بين أبناء السلطان الزياني الثابتي بعد وفاته في 1503م (عبد الله – أبي زيان – يحي أبي زيان) فبعد أن آل الحكم للأكبر، تآمر الآخرين عليه، إلاّ أنهما فشلا، فألقي القبض على أبي زيان وفر يحي لملك فاس محمد الوطاسي.[4]

كما نرى رفض السلطان الوطاسي محمد البرتغالي الذي اتخذ الحياد في علاقاته لمساعدة السلطان الزياني أبو حمو الذي استنجد به لاسترجاع عرشه من العثمانيين وكان سبب رفضه انشغاله بحروبه ضد البرتغال في 1517م فخاف من التورط في الجبهة الشرقية.[5]

---

[4]- عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ج7، ص 307

[1]– الحسن الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 55.

[2]– عبد الهادي التازي، مرجع سابق،ص 308.

[3]– الحسن الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 55.

[4]– هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 492 – 493.

فلم يجد الوطاسيون الوقت للتدخل في المغرب الأوسط واكتفوا بالمساعدات كقبول اللاجئين والتزام الحياد، لكن بعد مجيء العثمانيين اعترف الوطاسيون بوجودهم لضمان الاستقرار الداخلي.[1]

فكان أول اتصال بين العثمانيين والوطاسيين في شخصية عروج ، وذلك في عام 1517م عندما تمكن عروج من دخول تلمسان بعد عزل أبي حمو الزياني[2]، وفي معركة تلمسان1518م ضد الأسبان وأبي حمو، طلب عروج من محمد البرتغالي التحالف ضد العدو المشترك من النصارى مبديا له تقديم كل الدعم ضد خصومه السعديين بمراكش وضد كل المناوئين بالمغرب الأقصى.

فوجد السلطان الوطاسي في هذا العرض فرصة لتقوية حدوده الشرقية وحليف يعينه على الأسبان والسعديين الذين أصبحوا يهددون عاصمته فاس.[3]

بعد أن طلب عروج الإمدادات من الوطاسيين في حربه ضد الأسبان في تلمسان وتنفيذا للاتفاق بينهما انتظر عروج متحصنا بالقلعة لحين يأتيه الجيش من المغرب، فقام الملك بإرسال الجيش، إلاّ أنّ هذا الجيش سار عن طريق مليلية، فطال به السير، ولم يتمكن من الوصول في الوقت المناسب، فلما علم بانتهاء المعركة لصالح الأسبان واستشهاد عروج، عاد لفاس.[4]

وهنا يذكر كربخال أن الجيش المغربي اتخذ طريق مليلية عمدا لخوفه من المعركة وإمكانية حدوث تحالف زياني اسباني على بلاده، كما كانت هناك مساعدات مغربية للزيانيين التابعين للأسبان تتمثل في حوالي 400 فارس مغربي في جيش أبي حمو الزياني.[5]

---

[5]– عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 16 – 17.

[1]– كربخال، مصدر سابق، ج 2، ص 309.

[2]– هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 502.

3– محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 234. ؛أنظر أحمد توفيق المدني، حرب 300سنة، مرجع سابق، ص 190.

[4]– كربخال، مصدر سابق، ج 2، ص 313.

المطلب الثاني: العلاقات الثقافية.

إذا كانت العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى قد تأثرت بالأوضاع السياسية قبل 1519م سواء الداخلية من فتن وتمردات أو خارجية من غزو اسباني وبرتغالي فالأمر مختلف تماما بالنسبة للأوضاع الثقافية فقد ظل التبادل الثقافي قائما أكثر من السياسي وذلك راجع لعوامل أهمها:

– العامل الجغرافي المتمثل في احتكاك الحواجز الطبيعية بين البلدين.

– العامل التاريخي والديني والثقافي واللغوي المشترك وكلهم ساهموا في خلق تبادل ثقافي مميز رغم الظروف القاسية.[1]

ويظهر ذلك من خلال تبادل الهجرات بين علماء القطرين حيث شهدت هذه الفترة ظاهرة هجرة العلماء بين البلدين ومن بين أهم علماء الجزائر الذين هاجروا للمغرب الأقصى خاصة

فاس أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني الذي فر لفاس سنة 1469 وأصبح من مدرسي ومفتي جامع القرويين وقد هاجر كلاجئ سياسي وفار من بطش السلطان الزياني. وهناك من هاجر لطلب العلم ومن أهمهم محمد بن محمد العباس التلمساني الذي رحل لمدينة فاس ليتتلمذ على يد الشيخ ابن غازي ، بالإضافة إلى سيدي أحمد بن أبي جمعة شقرون الوهراني الذي هاجر من مدينة وهران لطلب العلم والمعرفة من علماء فاس وأصبح مدرسا هناك.[2]

[1]– هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 572.

[2]– عادل نويهض، مرجع السابق، ص 347.

ويعتبر الوزان من أهم علماء المغرب الأقصى الذين هاجروا للجزائر وزار عدد من المدن الجزائرية من أهمها تلمسان التي زارها سنة 1517م وقد أعطى لنا وصف دقيق عنها وعن مدن أخرى في المغرب الأوسط .[1]

كما جمعت علماء الجزائر علاقات جيدة مع سلاطين الدولة الوطاسية وحتى الدولة السعدية الناشئة ويظهر هذا من خلال ما جمع بين عبد الله بن محمد العنابي الذي هاجر من المغرب الأقصى لدرعه والتقى القائم بأمر الله واستشاره في الأمور الملكية واشتكى إليه حالته المادية وفي هذا يروي السلطان السعدي عبد الله الغالب ابن محمد الشيخ المهدي الحادثة ويظهر من خلالها أن العنابي رجل متصوف[2].

كما جمعته علاقة جيدة مع محمد الشيخ البرتغالي الوطاسي، إذ اقترح عليه العنابي إفتداء الأسرى المسلمين بعد سقوط غرناطة فلب السلطان الأمر.[3]

وهناك من شغل منصب المدرس ، وقد كانت تقام مجالس علمية حيث يتبادل على إثرها علماء البلدين الإجازات العلمية والمسائل والنظم الفقهية ومن الأمثلة على ذلك العالم سيدي أحمد بن محمد بن عثمان المعروف بابن الحاج الذي جمعته مسائل ونظم مع العالم محمد بن غازي العثماني المغربي[4].

بالإضافة إلى إبراهيم بن هلال السجلماسي وعبد الله العنابي الذي جمعتهم مراسلات ومصاحبة، وهذا يدل على قوة الروابط الثقافية التي جمعت البلدين[5].

---

[3]– إبراهيم حركات، "**الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب**"، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975، ص 188.

[1]– محمد بن عسكر، **دوحة الناشر المحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، (تح محمد حجي)، ط 2، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 92.

[2]– نفسه، ص 92 .

[3]– ابن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، (مراجعة الشيخ الشريف أبي شنب)، المطبعة الثعالبية الجزائر، 1908، ص 08 .**للمزيد أنظر**، الشريف أبي عبد الله الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، (تح عبد الله الكامل الكتاني وآخرون)، ج2، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004، ص 76.

[4]– عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، ج 1، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ص 142–144.

خاتمة:

لقد كان للأوضاع السياسية المتدهورة التي أصبح يعيشها كل من المغرب الأوسط والأقصى أثر كبير في تراجع الدور الاقتصادي والثقافي للبلدين ، بالإضافة لظهور التنافس الاسباني والبرتغالي على مناطق النفوذ في المنطقة.

وأمام هذا الوضع المزري ظهرت قوى جديدة ساهمت إلى حد كبير في تحسين تلك الأوضاع.

أما فيما يخص العلاقات التي جمعت الطرفين فقد تميزت بتراجع ذلك الصراع الذي كان قائما بين الدولة الزيانية والمرينية، بل وصلت لحد التقارب والتعاون في إطار الجهاد ضد الغزو الأسباني والبرتغالي.

الفصل الأول

الحالة السياسية للجزائر والمغرب الأقصى في الفترة 1519-1587.

تمهيد:

بينما كانت الجزائر تشهد فترة ميلاد جديدة و المتمثلة في ارتباطها بالباب العالي و بداية حكم العثمانيين في الجزائر تحت نظام البايلربايات الذي أدخل الجزائر في فترة ازدهار بين الدول و أصبحت لها مكانة هامة في استقرار الوضع السياسي في المنطقة، كان المغرب الأقصى يعيش نوع من التشتت والتمزق السياسي خاصة بعد ظهور الدولة السعدية التي أصبحت تنافس على حكم المغرب في ظل الضعف الذي آلت إليه الدولة الوطاسية.

فيا ترى كيف أصبحت تعيش المنطقة في ظل ظهور القوة العثمانية في الجزائر والسعدية في المغرب الأقصى؟ وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: الجزائر

المطلب الأول: الارتباط بالباب العالي.

أ- عوامل الارتباط بالباب العالي :

يمكن أن نرجع الأسباب التي أدت بأهالي مدينة الجزائر يستنجدون بالسلطان العثماني سليم الأول إلى الأسباب التالية:

-مقتل عروج سنة 1518م القائد العسكري، الأمر الذي جعل خير الدين يشعر بعجز قوته أمام التحرشات الاسبانية، مما جعله يفكر في العودة إلى الجهاد وترك مدينة الجزائر.

-الأوضاع التي آلت إليها الجزائر والتي أصبحت فريسة في يد الأسبان الذين كانوا قد نالوا من أهم سواحلها .

-ضعف قوة خير الدين إلى جانب القوة الإسبانية، بالإضافة إلى الأعداء الذين أصبحوا يتربصون به داخل مدينة الجزائر أمثال سليم التومي بالإضافة إلى السلطان الزياني الموالي للأسبان[1] .

-حاجة خير الدين إلى حليف قوي يحتمي تحت رايته، ولما كانت الدولة العثمانية حاملة للواء الخلافة الإسلامية، طالب خير الدين من أعيان مدينة الجزائر من الانطواء تحت رايتها لان ذلك هو الحل الوحيد للتخلص من الأسبان.[2]

[1]- عبد الجليل التميمي،" **رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519م** "، المجلة التاريخية المغربية، العدد 06، مطبعة الاتحاد العام، التونسي لشغل، تونس 1976 م، ص 118.

[2]- مجهول ،مصدر سابق ، ص 95 .

ولهذا خاطبهم قائلا "..... **إن السلطان المعظم سليم خان الأول[1] هو خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم، إن مستقبلكم ومستقبل بلادكم مرهون بضرب السكة باسم السلطان العظيم وإعلان التبعية و الولاء له لينال الحماية ....**" [2].

ب- كيفية الارتباط:

لما كانت الجزائر مهددة من قبل الأسبان سارع خير الدين إلى إبلاغ أهالي مدينة الجزائر بضرورة الاستنجاد بالسلطان العثماني سليم الأول، ولهذا أرسل وفدا من مدينة الجزائر والذي ضم أهم أعيان المدينة تحت رأسه أبو العباس أحمد بن علي بن القاضي، وقد كان الوفد حاملا معه رسالة حملت اسم القاضي والخطيب و الفقهاء و الأئمة وكل أعيان المدينة، إلى مدينة اسطنبول لملاقاة السلطان سليم الأول[3].

وكانت الرسالة بمثابة شرحا مفصلا للأوضاع التي آلت إليها الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر والتي أصبحت تحت وطأة الأسبان، الأمر الذي دفعهم إلى الاتصال بالسلطان سليم.

كما أشادت الرسالة بالدور الكبير الذي قام به الأخوين بربروس من أجل حماية الجزائر وطرد الأسبان وقد أظهر الوفد من خلال الرسالة استعداد الأهالي سواء تعلق الأمر بأهالي مدينة الجزائر أو بجاية إلى إعلان طاعتهم وولائهم للدولة العثمانية إن وافق سلطانها على طلبهم في الانطواء تحت رايته[4]،

---

[1]- تاسع سلاطين بني عثمان، وهو ابن السلطان بايزيد الثاني، تولى العرش 1512 م من أهم انجازاته فتح بلاد الشام سنة 1516 م ومصر 1517 م في عهده أصبحت الجزائر إيالة عثمانية 1519 م، توفي سنة 1520 م. **للمزيد أنظر**: حضرة عز تلو يوسف بك أصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، (تق محمد زينهم، محمد عزب)، ط1 مكتبة مديولي، القاهرة 1995 م ص 65.

2- مجهول، مصدر سابق، ص 95.

[3]- عبد الجليل التاميمي، مرجع سابق، ص 118 .

4-نفسه.

وقد دامت إقامة الوفد في اسطنبول 45 يوما ثم عاد إلى المدينة الجزائر برفقة وفدا أرسله السلطان سليم الأول بقيادة حجي حسن الذي كان محملا بعديد من الهدايا منها خلعة مذهبة والسيف وراية الإمارة وقرار التولية الذي عين خير الدين في منصب والي الجزائر أو في منصب البايلرباي[1] ، كما ألحق الجزائر بالدولة العثمانية بحيث أصبحت الجزائر ومنذ سنة 1519م إيالة عثمانية[2].

كما أرسل سليم الأول إلى جانب الهدايا دعم يتكون من قوة بحرية محملة بأربعة ألاف مقاتل من الانكشارية، وكميات ضخمة من الأسلحة والذخائر و التجهيزات الحربية الأخرى، وذلك من أجل ضمان استقرار هذه الإيالة الجديدة[3].

ولقد كان انضمام الجزائر إلى الباب العالي بمثابة صاعقة على الأسبان الذين سارعوا إلى ارسال حملة على مدينة الجزائر في شهر أوت 1519م، بقيادة "هوكو دي مونكادو" التي ضمت 40 سفينة و خمسة آلاف من الجند[4].

وقد عرفت هذه الحملة مشاركة السلطان الزياني أبو حمو إلى جانب الأسبان وبعد اشتباكات بين الطرفين استطاع خير الدين الانتصار على الأسبان الذين تكبدوا خسائر فادحة[5].

---

[1]- أو أمير الأمراء.وهو أعلى منصب في الدولة العثمانية، كان يوجد في بداية العهد العثماني بكلربكي واحد ولما توسعت الفتوحات الإسلامية أصبح يطلق على والي السنجق. **للمزيد أنظر:** سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص 64 .

[2]- مجهول، مصدر سابق، ص 97 - 98.

[3]- Laugier(de Tassy), **Histoire d'royaume d'Alger**, majesté très Hollande, 1881 p 36. 37.

[4]- الحسن الوزان .مصدر سابق، ج2، ص 40 .

[5]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 76.

المطلب الثاني: إستتباب الأمن والاستقرار

أ- **خير الدين في مواجهة التحديات الداخلية :** بعد ارتباط الجزائر بالباب العالي، وميلاد نظام البيلرباي وبعدما تأكد خير الدين من قوة حليفته الدولة العثمانية، تفرغ إلى تنظيم البلاد وترتيبها خاصة و أن الخطر الداخلي ما يزال يهدد استقرار هذه الاخيرة [1]، وعليه قام بتقسيم إيالة الجزائر إلى قسمين، قسم شرقي يمتد من العاصمة حتى الحدود الحفصية وقد وضعه تحت قيادة أحمد بن قاضي، وقسم غربي يمتد من العاصمة إلى حدود بني زيان تحت قيادة محمد بن علي[2].

غير أن المشاكل والفتن لم تنتهي فقد ثارت بعض القبائل ومنها قبائل جبل كوكو على سلطة خير الدين وقاموا بمهاجمة مدينة الجزائر، غير أن خير الدين استطاع إخماد هذه التمردات كما كان تحالف عبد الله الزياني[3] مع الأسبان يخيف خير الدين الأمر الذي جعله يقوم بالإغارة على تلمسان وينزل بعبد الله على العرش الزياني ويولي مسعود ولاية العرش[4].

وفي سنة 1520م، استطاع خير الدين تحرير مدينة تنس، وبينما هو يستعد لإخضاع تونس التي أصبح سلطانها يظهر العداء لخير الدين[5] حتى ثار مسعود و أعلن الثورة على خير الدين الذي أعد جيش لمحاصرة تلمسان ومستغانم .

---

[1]- علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** ،ط1،دار التوزيع والنشرالاسلامي ،مصر ،2001 ص 214.

[2]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 75 .

[3]- تولى عرش تلمسان سنة 1518 م في ظروف صعبة كانت تعيشها الجزائر، استطاع إخماد العديد من الفتن وسعى لاكتساب ود الأسبان، فقد دخل في تحالف معهم منذ سنة 1512 م، ثار عليه أخيه مسعود بمساعدة الأتراك العثمانيين وقد استطاع انتزاع السلطة من يده، **للمزيد أنظر** عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ط2، دار الحياة لنشر والتوزيع ، بيروت 1965 م، ص 222 .

[4]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 75 .

[5]- شوفاليه،**الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541**، (تر جمال حمادنية) ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1991 ، ص 42 - 43 .

واستطاع خير الدين بعد حصار دام عشرين يوم دخول تلمسان وفرار مسعود بينما أعاد خير الدين السلطان عبد الله المخلوع الى عرشه لكنه فرض عليه ضريبة سنوية[1].

وفي سنة1521 م ثار ابن القاضي ببلاد القبائل الذي قام بالتحالف مع قارة حسن فقام خير الدين بمهاجمة ابن القاضي الذي انهزم أمام قوة خير الدين ولجأ إلى سلطان تونس الذي تحالف معه للوقوف في وجه خير الدين ، وقد استطاع ابن القاضي من خلال هذا التحالف هزم خير الدين و احتلال مدينة الجزائر فاضطر خير الدين إلى الالتجاء إلى جيجل أين أعاد بناء قوته لمواجهة الخارجين على طاعته فاستطاع سنة 1521 م استعادت القل التي كانت محتلة من قبل قارة حسن كما استرجع عنابة سنة 1522 م و من أجل تعزيز قوته أكثر قام بالتحالف مع ابن العباس عدو ابن القاضي [2].

وبعد ما تأكد خير الدين من قوته قام بالهجوم على ابن القاضي، الذي كان قد استولى علـى مدينة الجزائر و التي استطاع استرجاعها سنة 1525 م و إعدام ابن القاضي ،كما استطاع التخلص من تمرد الحسين شقيق ابن القاضي ، وتمرد مدينة شرشال سنة 1529 م[3].

ب- خير الدين والأسبان:

بعدما تمكن خير الدين من تثبيت سلطته الإدارية والسياسية في الجزائر وخاصة بعدما أصبح له حلفاء في الداخل ،وجه انظاره نحو تحرير البلاد من الوجود الأسبان ،ولما كانت قلعة البنيون تهدد استقراره أصبح يتوجب عليه توجيه ضرب للأسبان هناك، وفي سنة 1529م قام بالهجوم على القلعة مستغلا الظروف الصعبة التي كانت تعيشها القلعة بسبب نقص الإمدادات للجنود [4].

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص47- 48 .

[2]- شوفاليه، مرجع سابق، ص 43- 44 .

[3]-عزيز سامح التر، مرجع سابق ،ص75.

[4]- مرمول كربخال، مصدر سابق، ج2 ، ص 364 .

وقد هاجم خير الدين القلعة بعشرين سفينة التي استمرت بالقصف لمدة عشرين يوما، و التي أثمرت بتحرير القلعة، وبالتالي استطاع خير الدين تثبيت دعائمه في مدينة الجزائر، كما أنشأ مرسى الذي أصبح ملجأ صالحا لسفن [1] .

ولما كانت الدولة الحفصية المتاخمة للحدود الشرقية تعيش اضطرابات وفوضى، وإزاد التدخل الأسباني فيها الأمر الذي كان يرى فيه خير الدين مهددا لسلطته واستقرار الجزائر[2] الأمر الذي أدى به إلى توجيه حملة على تونس سنة 1533 م لإلحاقها بالدولة العثمانية، وقد استطاعت حملته إلحاق تونس بالجزائر وبالتالي القضاء على مخاوفه في اندلاع التمردات من جديد داخل الجزائر والتى كثير ما كان يشتعلها السلطان الحفصي[3] .

وقد صادفت هذه السنة دعوة السلطان العثماني سليمان القانوني خير الدين وتولى منصب قبطان دوريا[4]، استغل الأسبان الفرصة و قام الإمبراطور شرلكان[5] بتجهيز حملة على تونس سنة 1535 م بعد ما استنجد به السلطان الحفصي حسن المعزول لاسترجاع عرشه [6] .

وقد التقى الجيش المسيحي الذي كان يتكون من جنود من اسبانيا وألمانيا وإيطاليا وهولندا بالجيش الجزائري الذي كان تحت قيادة سنان باشا في منطقة حلق الوادي، التي استطاع شرلكان الاستيلاء عليها وهزيمة سنان باشا[7].

---

[1]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 87.

[2]- مجهول، المصدر السابق، ص 171.

[3]- إسماعيل احمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكات، الرياض، 1995، ص 67.

[4]- ويسمى قبدان باشا، أو أميرال البحرية الكبير، وهو رئيس الأسطول العثماني وأعلى رتبة عسكرية في البحرية العثمانية. **للمزيد أنظر** سهيل صابان، مرجع سابق، ص 177.

[5]- يعرف أيضا بشارل الخامس ، يعتبر من أعظم ملوك إسبانيا ، إعتلى العرش الاسباني سنة 1517م ، دخل في صراع مع الملك الفرنسي فرنسوا الاول ملك فرنسا بسبب رغبت كل طرف في التوسع وبناء إمبراطورية تحكم كامل أروبا ، كما جمعته علاقة سيئة مع السلطان العثماني سليمان القانوني ، أعتزل السلطة سنة 1527م ؛**أنظر** مجهول ، مصدر سابق ،ص73.

6- محمود السيد، **تاريخ دول المغرب العربي، (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر 2006، ص 164.

[7]- مجهول، مصدر سابق، ص 172.

أما خير الدين فقد خرج إلى تونس لملاقاة جيش السلطان الحفصي حليف الأسبان الذي استطاع هزيمة خير الدين بعدما ثار عليه المتطوعين في جيشه، الأمر الذي أدى إلى هزيمة خير الدين أمام قوات السلطان الحفصي، وبالتالي استولى شرلكان على مدينة تونس.[1]

وبعد استيلاء شرلكان على تونس وهزيمة خير الدين، عزم على الاستيلاء على مدينة الجزائر التي كانت تحت إدارة حسن أغا،خليفة خير الدين، وفي سنة 1541م، جهز شرلكان حملة تكونت من 150سفينة، واتجه بها إلى مدينة الجزائر، غير أن حسن أغا[2] استطاع التصدي للحملة التي أوقع بها هزيمة كبيرة.[3]

وقد كان لهذا الانتصار أن أصبحت الجزائر تنعم بالاستقرار والأمن لفترة طويلة، وقد ساهمت أيضا في زعزعت الوجود الأسباني في الشمال الإفريقي.[4]

المطلب الثالث: انهيار الحكم الزياني وزيادة النفوذ العثماني.

أ- نهاية عرش بني زيان وإلحاق تلمسان بالجزائر:

لقد كانت تلمسان ومنذ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م تمثل مشكلة كبيرة تهدد التواجد العثماني في الجزائر، خاصة إذا تعلق الأمر بكثرة تحالفات سلاطينها مع لأسبان ولما استطاع حسن أغا تأمين الجزائر من أي خطر خارجي خاصة بعد هزيمة حملة شرلكان

---

[1]- مجهول . مصدر سابق ، ص172.

[2]- أحد رجال خير الدين، وهو من الأعلاج، كان رجل إدارة وحرب، أصبح نائبا لخير الدين منذ سنة 1535م، ارتبط اسمه بحملة شرلكان سنة 1541م، بعد تمكنه من التصدي لهذه الحملة، للمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة مرجع سابق ،ص 242.

[3]- Alphonse(Rouseau), **chroniques de la régence d'Alger**, Traduites d'un manuscrit arabe intitule – El – zohrat – el –nayerat, Alger, 1841, P 97-98.

4- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ص 44

وجه حسن بن خير الدين[1] الذي تولى منصب بايلرباي سنة 1544م أنضاره إلى تلمسان للقضاء على تلك الفتن، وعليه قام بعزل أبي زيان أحمد الثاني حليف الأسبان وتعين أخيه حسن تحت إشراف سلطة حسن بن خير الدين وكان هذا سنة 1545م.[2]

غير أن المشاكل لم تنتهي فقد تمرد السلطان الجديد حسن على سلطة حسن بن خير الدين الذي جهز حملة لتأديبه سنة 1548م وفي سنة 1550م ثار الأمير أحمد بن زيان الذي استنجد بالسلطان السعدي الذي قام باحتلال مدينة تلمسان، فتحرك له حسان بن خير الدين بجيشه الذي كان تحت قيادة حسن كورصو فاستطاع استرجاع تلمسان والتي أصبحت مقاطعة تابعة لإيالة الجزائر منذ سنة 1554م، حيث استطاع صالح رايس[3] الإطاحة بأخر سلاطين بني زيان وولى عليها حسن كورصو.[4]

ب- ازدياد النفوذ العثماني:

بعدما تمكن صالح رايس من ضم تلمسان نهائيا إلى الجزائر، وجه أنظاره إلى الجهة الشرقية وبالضبط إلى بجاية، خاصة بعدما كان قد قضى على بني جلاب سنة 1552م، وبني ورجلان بورقلة، وعليه قام في شهر جوان من سنة 1555م بإعداد حملة على بجاية بقصد تحريرها من الأسبان، وقد كان لحلفائه في إمارة كوكو دور كبير في تمكنه من محاصرة بجاية التي استطاع صالح رايس من تحرير قلعتها التي استعملها كحصن لمواصلة تحركاته ومراقبة

[1]- هو ابن خير الدين، ولد بمدينة الجزائر من أم جزائرية، عينه سليمان القانوني بايلرباي، الجزائر سنة 1544م خلفا لحسن أغا، استطاع ضم تلمسان إلى سلطته سنة 1545م، ثم 1548م، عزل من منصبه سنة 1550م، تولى منصب البايلرباي ثلاث مرات، للمزيد أنظر: أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة ، مرجع سابق، ص 321.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج 2، ص 86.

[3]- هو من بين قادة خير الدين بربروس، تولى منصب بايلرباي سنة 1552م، استطاع الإطاحة بأخر سلاطين بني زيان وإلحاق تلمسان نهائيا بالجزائر سنة 1554م، توفي سنة 1557م؛ **أنظر**: أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة ، مرجع سابق ص 337.

[4]- نفسه، ص 337.

الأسبان،[1] وبعد سقوط كافة الاستحكامات بيد صالح رايس، دخل هذا الأخير في مفاوضات مع الأسبان المتواجدين ببجاية والتي اشترط عليهم صالح رايس تسليمه كل الذخائر مع ضمان السماح لهم بالرحيل بممتلكاتهم.[2]

وبعدما تمكن من فتح بجاية استعد لفتح وهران، فضم أسطوله إلى الأسطول العثماني، الذي اتجه إلى محاصرة المدينة، غير أنّه لم يتمكن من اقتحامها، وذلك راجع إلى الاضطرابات الداخلية التي أصبحت تعيشها السلطة في الجزائر خاصة بعد وفاة صالح رايس، حيث وقع صراع بين قادة الأوجاق على السلطة،[3] وبالرغم من تولي حسن كرصو السلطة سنة 1557 غير أن مدينة وهران لم تفتح.[4]

وفي سنة 1557م أعاد السلطان سليمان القانوني حسن بن خير الدين لولاية الجزائر، فما كان على حسن بن خير الدين إلاّ أنه قام بتنظيم الجيش وتنظيم البلاد التي قسمت إلى مقاطعات ثلاث .

كما أنه استأنف الجهاد ضد الأسبان حيث قام بهجوم على مستغانم[5]، كما قام سنة 1563م بمحاولة تحرير وهران، غير أنه لم يتمكن من تحريرها وذلك راجع إلى قوة المساعدات التي أرسلتها إسبانيا إلى حاكم وهران، الأمر الذي اضطر بحسن بن خير الدين ينسحب من وهران.[6]

وهران.[6]

[1]- أحمد توفيق المدني، حرب 300سنة ،مرجع سابق، ص 343-344.

[2]- مرمول كربخال، مصدر سابق، ج 1، ص 513.

[3]- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ص99.

[4]- محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 245.

[5]- شوقي عطا الله الجهل، المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ص 100.

[6] - محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 250- 251.

وفي سنة 1568م أصبح حسن بن خير الدين قبطان دوريا للجيش العثماني فخلفه علج علي[1] الذي عرفت الجزائر خلال فترة حكمه ازدياد النفوذ العثماني في البلاد.[2]

ج- مساهمة الجزائر في ثورة الأندلس وتحرير تونس:

في سنة 1568م اندلعت ثورة الأندلس في إسبانيا والتي قادها المرسكيون الذين كانوا ما يزالون في أسبانيا ، وقد كان سبب هذه الثورة هو الظلم والاستبداد التي كان يمارسها الأسبان ضد هذه الفئة[3]، ولقد شجع الجهاد البحري المرسكيون في إعلان هذه الثورة[4]، خاصة بعد موافقة علج علي على مد يد العود والمدد لهذه الثورة، وعليه قام علج علي بتجهيز قوة كبيرة من الجيوش قدرت ب 14 ألف من العساكر الإنكشارية، و60 ألف من القبائل وقام بالهجوم على وهران وذلك من أجل تشتيت انتباه الأسبان وإضعاف قوتهم، وبالتالي تمكن جيشه من الإبحار إلى الأندلس.[5]

غير أن علج علي فشل في هدفه وذلك راجع إلى اكتشاف الأسبان لخطته، الأمر الذي جعل علج علي يرسل أربعة ألاف مجاهد فقط إلى الثوار، ولكنه وبالرغم من هذا إلاّ أن الثورة حققت بعض الانتصارات على الأسبان، الذين سارعوا لتعيين قائدا جديدا للأسطول. من أجل إخماد الثورة[6] كما لجأ فليب الثاني سنة 1569م إلى طلب العون من بابا روما، خاصة وأن هذه

[1]- هو من الأعلاج، أسند إليه منصب البايلرباي في 8 أوت 1568م، ارتبط اسمه بثورة الأندلس سنة 1568م. ومعركة ليبانتو سنة 1571م. لما قام به من جهود للمحافظة على قطع الأسطول العثماني، الأمر الذي أدى به إلى أن يرتقي إلى منصب قبدان باشا.

[2]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 227.

[3]- نفسه، ص 227.

[4]- محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 254.

[5]- أحمد توفيق المدني، حرب 300سنة، مرجع سابق، ص 393.

[6]- محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 257.

الانتصارات أصبحت لها خطوة على أسبانيا، فسارع الباب إلى تقديم العون إلى فليب الثاني الذي استطاع هزيمة الثوار وإخماد الثورة.[1]

وبالرغم من هزيمة علج علي في ثورة الأندلس إلاّ أنه قام في سنة 1574م وبطلب من السلطان العثماني سليم الثاني،[2] بإعداد حملة من أجل فتح تونس وطرد الأسبان، وبعد صراع طويل بين السلطان الحفصي المولي للأسبان من جهة والقوات الأسبانية التي كانت مرابط بحلق الوادي، استطاع علج علي وبمشاركة القوات العثمانية من تحرير تونس بعد حصار دام أربعون يوما أمّا بالنسبة لقوة علج علي فتمثلت في القوة البحرية والتي كان قوامها مئة سفينة[3].

[1]- ليلى الصباغ، "**ثورة مسلمي غرناطة عام 976 هـ / 1568 م والدولة العثمانية**،" مجلة الأصالة ، العدد 27، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975 م، ص 116.

[2]- هو ابن السلطان سليمان القانوني، تولى السلطة سنة 1566م إلى غاية 1574م، قام بعدة إصلاحات، في عهده وقعت معركة ليبانتو 1571م، دخلت تونس في عهده تحت الحماية العثمانية 1574م، للمزيد أنظر: حظرة غزتلو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص 67.

[3]- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ص 99.

المبحث الثاني:المغرب الاقصى.

المطلب الأول: المغرب ما بين الحكم الوطاسي والسعدي.

أ- الاضطرابات الداخلية وتراجع الدور الوطاسي في الجهاد:

بعد وفاة محمد الشيخ البرتغالي سنة 1524م، تولى العرش الوطاسي أبو حسون[1] الذي عرفت فترة حكمه القصيرة ظهور الصراع على السلطة داخل الأسرة الوطاسية، فبعد تولي أبو حسون الحكم سنة 1524م، ثار عليه ابن أخيه أحمد الوطاسي في نهاية سنة 1524م، وتلقى هذا الأخير تأييد كبير من قبل أهالي فاس وعلمائها، وخاصة من عبد الواحد الونشريسي.[2]

وبالرغم من تولي أحمد الوطاسي العرش إلاّ أن الفتن لم تنتهي فقد ثار ضده عمه أبو حسون الذي كان قد كون إمارة خاصة به في بادس. كما ثار أبناء عمه عليه، إلاّ أنه تمكن من إخماد هذه الثورة.[3]

وأمام هذه الأحداث لجأ أحمد أبو العباس الوطاسي[4] إلى التقرب من البرتغال، وعقد هدنة معهم مخالفا بذلك سياسة والده، ولقد كان الازدياد النفوذ السعدي في المغرب الأقصى دورا في تقرب أحمد الوطاسي من البرتغاليين، لأنه كان يهدف من هذا التحالف هو الوقوف في وجه ذلك النفوذ المتزايد[5].

---

[1]- هو آخر سلاطين بني وطاس، بويع سنة 1524م، وبقي في الحكم لمدة شهرين، ثار عليه ابن أخيه أحمد بن محمد الشيخ البرتغالي، أسس إمارة في بادس، كان الأمير الوطاسي الوحيد الذي نجى من السعديين بعد إستلائهم على فاس سنة 1549م، استطاع استرجاع هذه الأخيرة سنة 1554م، غير أنه أغتيل سنة 1555م على يد الحملة السعدية، **للمزيد أنظر:** عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق،ج 1 ، ص 409-410 .

[2]- إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 173.

[3]- عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 410.

[4]- هو أحمد بن محمد البرتغالي الوطاسي، تولى الحكم سنة 1524م، خلعه السلطان السعدي محمد الشيخ سنة 1549م توفي سنة 1552م، للمزيد أنظر: أحمد بن قاضي المكناسي، جذوة الاقتباس ،مصدر سابق، ج 1، ص 114.

[5]- إبراهيم حركات، مرجع السابق، ص 174.

وعليه قام بالاتصال بحاكم أصيلا وقائد أسفي عن طريق وزيره إبراهيم بن علي بن راشد الذي اتفق مع البرتغال على خلق تعاون من أجل الوقوف في وجه السعديين إن حدث اصطدام مباشر بين القوتين الوطاسية والسعدية، لكن السلطان الوطاسي مقابل هذا التحالف كان مجبرا على التنازل على بعض المناطق لصالح البرتغال.[1]

ب- ازدياد النفوذ السعدي في المغرب الأقصى:

استغل أحمد الأعرج السعدي فرصة انشغال الوطاسيون بالصراع الذي نشب داخل أسرتهم وراح يفكر في كيفية توسيع سلطته. ومن أجل الحصول على أتباع أكثر ، واصل سياسته الرامية إلى محاربة البرتغاليين والأسبان .

ففي سنة 1524م وبينما الصراع مشتعل بين أحمد أبو العباس الوطاسي وعمه أبو حسون، قام أحمد الأعرج بالهجوم على حصن سنتاكروز، واستطاع تحقيق انتصارات زادت من شهرته[2] ، وقد وصل صيته حتى إلى الأمير مراكش الناصر بوشنتوف[3] الذي سارع إلى مكاتبة أحمد الأعرج يدعوه إلى الدخول تحت طاعته والإقامة في مراكش فانتقل أحمد الأعرج إلى مراكش ، تاركا إقليم السوس تحت طاعة أخيه محمد الشيخ،[4] ولما كانت مراكش مركزا مهما لإقامة وتوسيع دولته الناشئة، أصبحت فكرة الاستيلاء عليها تراوده فقام في سنة 1525م بتربص بالناصر بوشنتوف وقتله في إحدى خرجاته إلى الصيد.[5]

---

[1]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ،مرجع سابق، ج 7، ص 250.

[2] - عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص52.

[3]- هو أمير مراكش من هنتانة، لم يكن له علاقة جيدة مع الوطاسيين، بايع أحمد الأعرج الذي ساعده في الجهاد ضد البرتغاليين، قتل على يد أحمد الأعرج مسموما سنة 1525م، للمزيد أنظر العباس بن إبراهيم السملالي، مصدر سابق، ج 7 ص 334.

[4]- محمد الأفراني المراكشي، **نزهة الحادي لملوك القرن الحادي عشر**، (تصحح هوداس)، مطبعة بردين، باريز، فرنسا 1888م، ص 19.

[5]- مرمول كربخال، مصدر سابق، ج1، ص455.

وبوفاة الناصر شنتوف دنت مراكش الى طاعة أحمد الأعرج بعدما بايعت أهالي له، كما بايعت القبائل المجاورة.[1]

أما عن علاقته بالدولة الوطاسية فقد واصل أحمد الأعرج سياسة الولاء لدولة الوطاسية، لأنه كان منشغلا بتحسين أمور دولته من جهة ومن جهة أخرى كان يعي أن وقت الصراع بين الطرفين لم يحن بعد، كما أنه كان يريد تقوية أنصاره ويؤكد فكرة أن السعديين ليس لهم هدف في السلطة بل هدفهم هو الجهاد ،وعلى هذا الأساس راسل السلطان الوطاسي يطلعه على أنه أصبح أميرا على مراكش، ويعرب له عن استعداده لإرسال الضرائب إلى فاس[2].

أما بالنسبة للبرتغاليين فقد لجأ أحمد الأعرج إلى مهادنتهم، بالرغم من التحرشات التي كانت تتعرض لها القبائل التابعة لنفوذ السعدي من قبل البرتغاليين المتواجدين في أسفي وأزمور، إلاّ أن أحمد الأعرج ظل محافظا على هدنته.[3]

والذي يؤكد لنا هذا هي تلك الرسائل التي كان يبعث بها أحمد الأعرج والتي حملت في طياتها تغاضي أحمد الأعرج عن تصرفات البرتغاليين، ومطالبته للملك البرتغالي خوان الثالث بالحفاظ على الهدنة المبرمة بين الطرفين، ومن بين هذه الرسائل الرسالة المؤرخة في 10 ديسمبر 1525م.[4]

وقد كان أحمد الأعرج يهدف من السعى إلى المحافظة على علاقة جيدة مع البرتغاليين إلى القضاء على احتمال أي تحالف وطاسي برتغالي من الممكن أن يقضي على دولته في بداية حياتها.[5]

---

[1]- الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 11.

[2]– إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 50.

[3]– Decastries, Op, Cit, T2 , P349.

[4]– Ibid , P 349.

[5]- شوقي الجمل،" صفحات من التاريخ البرتغالي "، مرجع سابق، ص 77.

المطلب الثاني: الصراع الوطاسي السعدي.

بعد ما استطاع السعديون بقيادة أحمد الأعرج وأخوه محمد الشيخ السعدي،[1] بسط نفوذهم على مراكش سنة 1524م ، ودنت لهم أغلب المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى كشفوا على نواياهم في حكم البلاد وإنهاء حكم الدولة الوطاسية.

أما عن الأسباب التي أشعلت الصراع بين الطرفين فتكمن فيما يلي:

-رفض السعديون تقديم الضرائب لسلطان الوطاسي أحمد أبو العباس مقابل اعترافه بسيادتهم على مراكش والمناطق الجنوبية.

- إعلان الشرفاء السعديين أحقيتهم حكم المغرب الأقصى ، بحكم أنهم من سلالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وعليه فإنهم الخلفاء الشرعيين وأنهم يملكون حقوق في السلطة أكثر من الوطاسيين.

- الضعف الذي ألت إليه الدولة الوطاسية ، الأمر الذي شجع أحمد الأعرج إعلان خروجه عن طاعة الوطاسيين وطالب صداقتهم بدل الولاء لهم.[2]

- النشاط الدبلوماسي الذي سلكه أحمد الأعرج، فقد قام بالتحالف مع مرابطي الزاوية الدلائية الأمر الذي أزعج أحمد أبو العباس الوطاسي، الذي أعلن الحرب على هذه القوة التي أصبحت تنموا بشكل أكبر من اللازم، وعليه قطع رأسها قبل اكتمال نموها.[3]

ولفهم هذا الصراع يمكن أن نقسمه إلى مرحلتين:

---

[1]- هو محمد بن محمد القائم بأمر الله ولد سنة 1490م، يلقي بالشيخ وبالبربرية، أمغارة وأيضا بالمهدي، بويع سنة 1549م، سلطانا على فاس، دخل في صراع مع أخيه أحمد الأعرج، انتهى بانتصار محمد الشيخ، كان له دور كبير في تحرير العديد من الثغور المغربية، قتل على يد الجنود الأتراك سنة 1557م ؛ **أنظر** أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس ، مصدر سابق، ج 1، ص 202 ؛ العباس إبراهيم السملالي، مصدر سابق، ص 131.

[2]- مرمول كربخال، مصدر سابق، ج 1، ص 457.

[1]- محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 36.

أ- المرحلة الأولى: في عهد أحمد الأعرج: 1527 – 1545م.

وتبدأ هذه المرحلة بمحاصرة مراكش من قبل السلطان الوطاسي أحمد أبو العباس الذي جهز جيشه وخرج قاصدا مدينة مراكش وذلك سنة 1527م، فما كان على أحمد الأعرج إلاّ أنه سارع إلى تحصين مدينته،[1] وطلب المدد من أخيه محمد الشيخ حاكم منطقة السوس ، وبعد حصار دام عدة أيام، فشل السلطان الوطاسي في اقتحامها، الأمر الذي اضطر به إلى فك الحصار خاصة وأنه تلقى خبر تمرد أبناء عمه عليه، الأمر الذي اضطر به إلى فك الحصار والعودة إلى مراكش لإخماد الثورة.[2]

وبينما أحمد الأعرج منشغلا بفك الحصار تلقى هجمات من قبل البرتغاليين المتواجدين في أزمور وأسفي حيث قاموا بالهجوم على إحدى القبائل التابعة له،[3] وبالرغم من هزيمة أحمد أبو العباس الوطاسي وتأكده من ضعف قوته إلاّ أنه استأنف الصراع، حيث قام سنة 1529م بتجهيز حملة على مراكش لمحاصرتها للمرة الثانية، لكن هذه المرة كان أحمد الأعرج متفطنا أكثر، حيث سارع إلى ملاقاة أحمد الأعرج خارج مدينته، فقد إلتقى الطرفان في موقع يقال له أنماي، وبعدها تدخل الصلحاء لحل هذا الصراع الذي انتهى بعقد صلح بين السعديين والوطاسيين، الذي قسم المغرب الأقصى بين الطرفين [4] .

فكان القسم الشمالي للسعديين، بينما كان القسم الشمالي للوطاسيين، وقد اعتبرت المنطقة الواقعة بين نهر أم الربيع ووادي العبيد كحد فاصل.[5]

---

[2]- الإفراني، مصدر سابق، ص 19.

[3]- عبد الله حاجي، **الدولة السعدية أليات التطور ومظاهر التدهور**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013،ص 203.

[4]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 54.

[1]- الإفراني، مصدر سابق، ص 19.

2- عبد الله حجي، مرجع سابق، ص 203.

وفي أعقاب الصلع، لجأ الوطاسيون إلى عقد هدنة جديدة مع البرتغال، وكان ذلك سنة 1534م لتقوية جهتهم ضد السعديين[1] الذين استأنفوا جهادهم ضد البرتغال للقضاء على حليف الوطاسيين، ففي السنة التي وقع فيها أحمد الوطاسي هدنة مع البرتغال، قام أحمد الأعرج بمحاصرة حصن أسفي والذي كاد يستولي عليه،[2] وقد كان لهذا الحصار أثر حيث سارع الملك البرتغالي إلى إجلاء قواته من الحصن سنة 1535م، وبالتالي استطاع أحمد الأعرج القضاء على أي تحالف ممكن بين الطرفين خاصة وأن الحرب بين الوطاسيين والسعديين عاد من جديد،[3] ففي سنة 1536م، استأنف أحمد الصراع الذي وقع في منطقة مشروع بوعقبة.[4]

وقد عرفت هذه المنطقة بصعوبة تضاريسها الأمر الذي سوف يؤثر سلبا على أحمد الوطاسي الذي انهزم أمام الجيش السعدي بالرغم من قوة جيشه في العدة والعدد أمام الجيش السعدي، وقد انتهت المعركة بمقتل السلطان الغرانطي عبد الله الزغل، وابنه محمد.[5]

كما كان لتخلي القبائل الموالية له عنه سببا في انهزام أحمد الوطاسي الذي أصبح مجبرا على عقد صلح جديد بين السعديين بشروط يمليها المنتصر.

وعلى إثر هذا الصلح تم تغيير الحدود بين الطرفين، فقد تنازل الوطاسيون عن درعة وتادلا وتمسنا لسعديين بينما احتفظوا بسجلماسة وتافيلالت [6].

---

[1]- عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص 252.

[2]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 56.

[3]- الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 16.

[4]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 60.**للمزيد أنظر**: عبد الله حاجي، مرجع سابق، ص 204.

7- دي قودي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، (تر محمد حجي، محمد الأخضر)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 70 – 71.

[6]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 60.

وأمام هذه الظروف الصعبة التي أصبحت تعيشها الدولة الوطاسية، أبرم أحمد الأعرج هدنتين مع البرتغال، كانت الأولى سنة 1537م، والثانية سنة 1538م والتي حددت مدتها بإحدى عشرة سنة.[1]

كما قام بتوطيد علاقاته مع القوى الداخلية، وذلك بهدف خلق قوة داخلية معادية لسعديين وعليه قام بعقد زيجات سياسية 1541م، فقد قام بالزواج بالسيدة عائشة الحرة[2] حاكمة تيطوان والتي كانت لها مكانة ممتازة في نواحي تيطوان وشفشاون، كما قام بتزويج ابنته من القائد إبراهيم حاكم شفشاون.[3]

أما بالنسبة لسعديين فإنهم سارعوا إلى ضرب التحالف الوطاسي البرتغالي وذلك بضرب القوات البرتغالية المتواجدة في السواحل الأطلسية، وقد استطاع محمد الشيخ السعدي حاكم منطقة السوس تحرير ميناء أغادير سنة 1541م وفي هذه السنة لجأ الملك البرتغالي خوان الثالث إلى إجلاء قواته من الموانئ المغربية فقام بإجلاء ميناء أسفي وأزمور وذلك تخوفا من قوة السعديين[4].

وإذا كانت سنة 1541م سنة لجأ فيها كل طرف (الوطاسي والسعدي) إلى تقوية جهته من أجل هزيمة الأخر، فإن هذه السنة كانت بمثابة سنة اندلاع الصراع داخل الأسرة السعدية، أي بين محمد الشيخ وأحمد الأعرج، ويرجع المؤرخون سبب الصراع إلى سبب اثنين وهي بسبب

---

[1]- عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص 255.

[2]- هي من مدينة شفشاون، ولدت سنة 1490م، أصبحت حاكمة لمدينة تيطوان بعد وفاة زوجها المنظري، كانت لها علاقات مع الحاكم الأسباني المقيم في سبتة، عرفت بتجارة الأسرى والجهاد ضد البرتغال، **للمزيد أنظر** محمد داود،**تاريخ تطوان** ،المجلد01، معهد مولاي حسن ،تطون ،1959، ص 120.

[3]- نفسه، ص 121 – 122.

[4]- دي طوريس، مصدر سابق، ص 73 – 74.

الغنائم التي غنمها محمد الشيخ وبسبب ولاية العهد التي طالب بها محمد الشيخ إلى إلى ابنه محمد الحران.[1]

وبسبب تماطل أحمد الأعرج لمطالب أخيه اندلعت الحرب بين الطرفين وقد كان النصر فيها حليف محمد الشيخ السعدي الذي استطاع هزيمة أخيه وأسره هو أحد أبنائه وبعض قادته وذلك سنة 1545م، ونفي أحمد الأعرج إلى تافيلالت.

انتهت الحرب داخل الأسرة السعدية وانتقلت حكم هذه الدولة إلى محمد الشيخ الذي استأنف الصراع مع الوطاسيين.[2]

ب- المرحلة الثانية: في عهد محمد الشيخ السعدي 1545 – 1554م

بعد الانتصار الذي حققه محمد الشيخ على أخيه أحمد الأعرج والذي مكنه أن يصبح السلطان الوحيد لدولة السعدية، أصبح يفكر في كيفية توحيد كامل المغرب الأقصى تحت سلطته،[3] وقد استغل فرصة تحالف الوطاسيون مع أبناء أخيه واعتبرها ذريعة لنقض هدنة بوعقبة 1536م وراح يطالب في امتلاك قصبة تادلا، وبعض الأقاليم التابعة لمراكش، وعلى إثر هذا اندلعت الحرب بين الطرفين من جديد،[4] خاصة بعدما قام الأمير السعدي عبد القادر بجباية الضرائب من إقليم تادلا، الأمر الذي أدى بالسلطان الوطاسي إلى تجهيز جيشه لتأديب الجيش السعدي حيث وقعت معركة 1545م بين الطرفين في منطقة نهر درنة، كان النصر فيها حليف السعديين، بينما تكبد الوطاسيون خسائر فادحة حيث وقع أحمد الوطاسي أسيرا في المعركة.[5]

---

[1]- دي طوريس ، مصدر سابق، ص 80.

[2]- مرمول كربخال، مصدر سابق، ج 1، ص 462.

[3]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 48.

[4]- دي طورس، مصدر سابق، ص 95.

[5]- مرمول كربخال، مصدر سابق، ج 1، ص 468 – 469.

ومن أجل إطلاق سراحه اشترط محمد الشيخ تسليمه مدينة مكناس وكان ذلك سنة 1547م.[1]

غير أن السلطان الوطاسي أحمد أبو العباس وبالرغم من تسليمه مدينة مكناس إلاّ أنه لم يرضى ببقائه تحت رحمة السعديين، ومن أجل هذا قام بالتحالف من جديد مع الأمير زيدان إبن أحمد الأعرج لضرب القوات السعدية.[2]

لقد كان لهذا التحالف بمثابة حافز لمحمد الشيخ الذي سارع إلى إعلان الحرب على الوطاسيين وكان في هذه المرة عازما على القضاء عليهم نهائيا، فقام في سنة 1549م بفرض حصار على مدينة فاس،[3] وبعد حصار دام بضعة أشهر استطاع محمد الشيخ الاستيلاء على فاس البالي في 18 فيفري 1549م، ثم تبعتها فاس الجديدة التي كان قد التجأ إليها أبو حسون وأحمد الوطاسي،[4] وبالرغم من أن أبو حسون كان قد أشار على أحمد الوطاسي ضرورة التحالف مع البرتغاليين، غير أن أحمد الوطاسي فضل الاستسلام، لأنه كان متأكدا من تفوق قوة السعديين. وقد انتهى الصراع بدخول محمد الشيخ فاس وأسر أحمد الوطاسي للمرة الثانية وعليه دنت كل منطقة المغرب الأقصى إلى سلطة الدولة السعدية.[5]

[1]- الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 21.

[2]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 70.

[3]- محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 39.

[4]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 70.

[5]- De castries, Op, Cit, T/1,p149.

المطلب الثالث: انفراد السعديون بالحكم.

أ- المغرب الأقصى في عهد محمد الشيخ السعدي.

بعد دخول مدينة فاس تحت لواء الدولة السعدية، سارعت القبائل إلى إعلان تبعيتها إلى سلطة محمد الشيخ السعدي، فقد بايعه حاكم شفشاون، وحاكم تيطوان ، كما خضعت له مدينة القصر الكبير.[1]

ومن أجل المحافظة على استقرار دولته، أصبح مجبرا على القضاء على أبو حسون الذي كان قد فر إلى بادس سنة 1549م، ومن أجل هذا جهز حملة على بادس التي دنت إلى سلطة محمد الشيخ بينما فر أبو حسون إلى اسبانيا، ثم لجأ إلى إيالة الجزائر.[2]

كما قام بإخماد ثورة دبدو التي كان قد اشتعلها عمر الوطاسي، بالإضافة إلا أنه قام بالتخلص من كل شخص ليس مواليا لسلطته، فقام بقتل خطيب مكناس، بسبب ولائه للأمير الوطاسي أبو حسون.[3]

أما على المستوى الخارجي فقد واصل محمد الشيخ سياسته الرامية إلى محاربة الأسبان والبرتغال، خاصة وأن هاتين القوتين كانتا قد تحالفا مع أبو حسون وحاكم دبدو عمر الوطاسي فقد التجأ أبو حسون في 18 أفريل 1549م بعد سقوط فاس مباشرة إلى مليلة ومن ثمت اتجه إلى مالقة لمقابلة الإمبراطور الأسباني.[4]

1- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 70.

2- دي طورس، مصدر سابق، ص 149.

3- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ص 171.

4- De castries, Op, Cit, T/1,p233.

غير أن الأوضاع تغيرت خاصة بعد هزيمة أبو حسون سنة 1554م أمام القوات السعدية حيث تحولت العلاقات الأسبانية والبرتغالية مع المغرب الأقصى من طابع الصراع إلى طابع التحالف بين الطرفين وذلك من أجل ضرب القوة الجزائرية.[1]

ب- المغرب الأقصى بعد محمد الشيخ السعدي:

بعد وفاة محمد الشيخ السعدي خلفه ابنه عبد الله الغالب[2] الذي اتبع سياسة أبيه في تسيير دولته فقد حاول القضاء على الفتن الداخلية، ففي سنة 1561م استطاع ضم مدينة شفشاون تحت سلطته بعدما كانت تحت سلطة بني راشد.

أما بالنسبة للقوة الخارجية، فقد واصل عبد الله الغالب سياسة والده الخارجية فنلاحظه يتقرب من الأسبان بهدف الوقوف في وجه إيالة الجزائر[3]، لكن بالرغم من هذا إلاّ أنه حاول تحرير مدينة البريجة ، فقد أرسل حملة على المدينة بقيادة ابنه محمد المتوكل الذي حاصرها لمدة شهرين لكنه عدل في الأخير على الاستيلاء عليها، ويمكن أن نفسر هذا إلى التحالف الذي جمعه بالأسبان والذي كان يهدف منه إلى ضرب القوة الجزائرية[4].

ومن أهم ما ميز الفترة التي تلت وفاة عبد الله الشيخ هي عودة الصراع حول العرش السعدي والذي اندلع بعد توليت عبد الله الغالب ابنه محمد المتوكل وليا للعهد مخالفا بذلك وصية القائم بأمر الله[5].

وقد ازدادت حدت الصراع بعد وفاة عبد الله الغالب سنة 1574م، بين محمد المتوكل وأعمامه عبد الملك وأحمد المنصور، وقد استطاع هؤلاء استرجاع العرش السعدي سنة

---

[1]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 72.

[2]- الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 47.

[3]- إبراهيم حركات ، مرجع سابق، ج 2، ص 255.

[4]- الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 49.

5- محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 47.

1576م، حيث كان النصر حليف عبد الملك وبالرغم من انتصار عبد الملك إلى أن الصراع لم ينتهي ومن أهم المعارك التي جمعت الطرفين نذكر معركة تينزرت ومعركة مضيق أساطس غير أن معركة وادي المخازن تعتبر من أهم المعارك التي عرفها المغرب الأقصى ، والتي اندلعت في أوت 1578م، شارك فيها ملك البرتغال الدون سبستيان،[1] والذي كان يهدف من هذه المعركة إرجاع أمجاد النفوذ البرتغالي في المغرب الأقصى، خاصة وأن محمد المتوكل كان قد وعده مقابل التحالف معه على التنازل على جميع الشواطئ المغربية، وبعد صراع بين الطرفين محمد المتوكل وحليفه الدون سبستيان، وعبد الملك السعدي وأخوه أحمد المنصور انتهت المعركة بانتصار عبد الملك وأحمد المنصور، بينما انهزم محمد المتوكل والدون سبستيان الذي وقع قتيلا هو ومحمد المتوكل الذي أصبح يعرف بالمسلوخ، كما توفي عبد الملك السعدي في المعركة.[2]

ج- الدولة السعدية ما بين 1578 – 1587م:

كان من نتيجة معركة وادي المخازن مبايعة أحمد أبو العباس المنصور[3] سلطانا على المغرب الأقصى، وذلك سنة 1578م، والذي واجهته ومنذ توليه السلطة عدت مشاكل منها ثورة سعيد الدغالي الأندلسي،[4] وثورة ابن أخيه داود بن عبد المؤمن الذي ثار في أكتوبر 1579م فما كان على أحمد المنصور إلاّ أنه سارع إلى إخماد هذه الثورة التي انتهت بمقتل داود بن عبد

---

[1]- الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**،(در وتح عبد الكريم كريم)، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط، 1972، ص 33 – 34.

[2]- عبد الهادي التازي، "**واقعة وادي المخازن بدون رقابة**"، مجلة دعوة الحق، العدد 08، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية السنة 19، الرباط،1978، ص 28.

[3]- يعتبر من أعظم سلاطين الدولة السعدية، هو ابن محمد الشيخ السعدي، عقد له البيعة سنة 1578م، استطاع توسيع دولته حتى إلى بلاد السودان، جمعته علاقة جديدة مع إنجلترا، توفي سنة 1603م، **للمزيد أنظر**: إبراهيم السملالي، مصدر سابق ج 1، ص 252.

[4]- الفشتالي، مصدر سابق، ص 57.

المؤمن سنة 1580م ، وما كان ينتهي أحمد المنصور من إخماد هذه الثورة حتى اندلعت ثورة قبيلة الخلط سنة1587 كما ثار ضده الحاج فرقوش سنة 1587م. [1]

أما بالنسبة للقوى الخارجية، فقد سعى أحمد المنصور إلى المحافظة على علاقته بإسبانيا ويظهر هذا من خلال تسليم أحمد المنصور جثة الملك البرتغالي دون سيبستيان من دون المطالب بإخلاء بعض القواعد المحتلة، بل انه قام بمهادنة الأسبان سنة 1581م[2] وذلك راجع إلى التجاء الأمير ناصر ابن عبد الله الغالب والشيخ ابن محمد المتوكل إلى ملك اسبانيا فليب الثاني، الذي اشترط مقابل توقيع الهدنة التنازل له عن ميناء العرا ئش، كما كان هدف أحمد المنصور من هدنته هذا هو التفرغ لتخلص من النفوذ الجزائري.

غير أن تدخل كل من السلطان العثماني مراد الثالث، وملكة انجلترا إليزابيث أدت إلى ضرب أحمد المنصور تلك المفاوضات عرض الحائط، خاصة بعد عودة العلاقات المغربية العثمانية إلى مرحلة الهدوء، واستعداد إليزابيث إلى تقديم المساعدات العسكرية لأحمد المنصور، إن هو تخلي عن فكرة التنازل عن ميناء العرائش لأسبان.[3]

أما بالنسبة لبلاد السودان، فقد جمعته علاقة سيئة بالملك السوداني سكية وذلك بسبب المشاكل الاقتصادية التي حدثت بينهم بسبب استغلال ممالح تغازي، بالإضافة إلى التجاء الأمير السوداني المعارض لسلطة الملك سكية عند أحمد المنصور الذي أرسل خطابا عنيفا حمل في طياته شرارات الحرب بينهما،وفي سنة 1582م أرسل المنصور حملة إلى بلاد

---

[1]– أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، (در وتح محمد رزوق)، مكتبة المعارف لنشر والتوزيع الرباط، 1988، ص 182.

[2]– الفشتالي، مصدر سابق، ص 49.

[3]– شوقي الجمل، "**العلاقات المغربية الإنجليزية في النصف الثاني من القرن 16 والأول من القرن 17 في ضوء وثائق مكتبة المتحف البريطاني**"، مجلة المناهل، العدد 3، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط، السنة الثالثة، جويلية 1975، ص 158.

السودان[1]، والتي انتهت بدخول ملك بورما تحت طاعته، الأمر الذي شجعه على إرسال حملة سنة 1583م، غير أنها باءت بالفشل[2].

[1]- في سنة 1590م أرسل أحمد المنصور حملة ثانية على بلاد السودان بقيادة الباشا جؤذر وقد كان الجيش متكون من 20ألف من الجنود بالاضافة إلى قوة بحرية ضخمة ، وبعد معركة حامية مع جيش الملك سكية إنتهت المعركة بإنتصار أحمد المنصور ودخول بلاد السودان تحت طاعته .**للمزيد أنظر** شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ المغرب الكبير ، المرجع السابق ، ص188،187.

2-إبراهيم حركات، "**أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة**"، مجلة دعوة الحق، العدد8، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية المغرب، السنة 19، 1978، ص 70.

الخاتمة:

لقد كانت فترة البيلربايات من أهم الفترات السياسية التي عرفتها الجزائر ،وذلك راجع إلى تحسن الأوضاع التي عاشتها منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، في حين عرف المغرب الأقصى في هذه الفترة أوضاعا سياسية متباينة، فقد ظل يعيش ذلك الصراع حول السلطة، لكن بالرغم من هذا فقد استطاع تحقيق نوعا من الوحدة السياسية تضمن بقائه كقوة سياسية في المنطقة.

.

المبحث الأول :مرحلة الهدوء و الترقب (1519 – 1549 م)

المطلب الأول : العلاقات الزيانية الوطاسية

في ظل الضعف الذي لحق بالدولة الزيانية و الوطاسية و التي أصبحت كل منهما فريسة في يد البرتغال و الأسبان ، تراجع الوطاسين في التفكير في التوسع على حساب الدولة الزيانية مخالفين بذلك كل السياسة التي اتبعتها الدولة المرينية قبلهم في محاولة احتلال النفوذ الزياني في الجزائر ، فقد شهدت هذه الفترة انحياز العلاقات الجزائرية المغربية عن مسارها ، و عرفت نوعا من الود و التآخي بين الدولتين ويمكن أن نرجع هذا التغيير في مسار العلاقات الزيانية الوطاسية إلى العوامل التالية:

– التحرشات الإسبانية و البرتغالية للسواحل المغاربية ، فقد عرفت الجزائر والمغرب الأقصى في هذه المرحلة العديد من الحملات العسكرية التي أسفرت على احتلال أغلب الموانئ والثغور على طول الساحل الجزائري و المغربي .

– الاضطرابات الداخلية التي أصبحت تعيشها كل من الدولة الزيانية و الوطاسية فقد شهدت فترة ما بعد وفاة محمد الشيخ البرتغالي سنة 1524 م نزاع حول العرش الوطاسي بين أبو حسون و ابن أخيه أحمد أبو العباس ، بالإضافة إلى تمرد مسعود ابن أبو حسون على أحمد أبو العباس الوطاسي [1].

كما شهدت الدولة الزيانية هي الأخرى اضطرابات سياسية و صراع حول العرش فقد ثار عبد الله الثاني ضد أخوه أبو سرحان المنصور الموالي بالأسبان [2].

– ظهور قوى جديدة تمثلت في الدولة السعدية في المغرب الأقصى و القوة العثمانية التي أصبحت الحاكمة الفعلية للجزائر، و قد عرفت هذه القوى الجديدة بتبنيها الجهاد ضد الأسبان و البرتغال، حيث كان لها دور كبير في تحرير بعض المناطق.

---

[1] – هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص 491 – 492 .

[2] – أحمد توفيق المدني ، **تلمسان بين الزيانيين و العثمانيين ، 1530 – 1554 م** ، مجلة الأصالة ، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر ، 1975 م ، ص 43 .

و علية فإن العلاقات الزيانية الوطاسية تأثرت كثيرا بالأوضاع السياسية التي أصبحت تعيشها المنطقة ، الأمر الذي أدى بها إلى أن أصبحت تقتصر على إيواء الأمراء و السلاطين الزيانيين داخل البيت الوطاسي ، و خاصة فترة حكم السلطان الوطاسي أحمد أبو العباس (1519 – 1549 م) الذي عرف بإيوائه لسلاطين الزيانيين المخلوعين . [1]

و في سنة 1531 م ثار السلطان محمد بن عبد الله الزياني على أبيه السلطان عبد الله فالتجأ محمد بن عبد الله إلى فاس مقر السلطة الوطاسية[2] ، أين استنجد بالسلطان الوطاسي أحمد أبو العباس و طلب منه إمداده بالسلاح ، و أمام رفض هذا الأخير لجأ محمد بن عبد الله إلى أتراك الجزائر الذين ساعدوه على اعتلاء العرش في 12 فيفري 1534 م [3] ، غير أن هذا الأخير لم يدم طويلا في عرشه حتى تمرد عليه أخويه عبد الله و أحمد و استطاعا الإطاحة به في أواخر سنة 1544 م ، فما كان على محمد بن عبد الله إلا الفرار مجددا إلى فاس أين أواه أحمد الوطاسي ، لكنه لم يحصل على أي مساعدات مادية .

و يمكن أن نرجع سبب هذا إلى الضعف الذي ألت إليه الدولة الوطاسية بالإضافة إلى أن أحمد أبو العباس كان منشغلا بصراعه مع السعديين الذي كان يبدوا أنه قد وصل إلى نهايته و النتيجة كانت قد حسمت لصالح السعديين . [4]

و هناك سبب أخر يمكن أن نرجعه إلى رفض الوطاسيون تقديم يد المساعدة إلى الأمراء الزيانيين اللاجئين إلى فاس ،و هو العلاقة التي جمعت أتراك الجزائر بالوطاسين ، خاصة إذا تعلق الأمر بالأمراء الثائرين على سلطة أتراك الجزائر .

---

[1] – هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص 494 .

-2 Primoudaie ,**documenis inédits sur l'histoires de l'occupation espagnole en Afrique (1506 – 1574)**, Alger , 1875 , p 71

.

-3 Idid , p 72 – 73

[4] – عمار بن خروف ، **العلاقات بين الجزائر و المغرب 1517 – 1659 م** ، رسالة ماجستير في التاريخ ،غير منشورة كلية الأداب ، قسم التاريخ ، دمشق ، 1983 ، ص 129 .

فقد كان الوطاسين يتخوفون من فتح جهة أخرى للصراع ، و هم لا يزالون منشغلين بحروبهم ضد السعديين .

و يعتبر الأمير الزياني أبو زيان أحمد الثالث الذي ثار ضد أخيه سنة 1542 م بمساعدة أتراك الجزائر أكبر مثال على أن العلاقات الوطاسية مع أتراك الجزائر كانت حاجزا أمام إمداد المساعدات إلى الأمراء الزيانيين ، ففي سنة1545 م استطاع حسن بن خير الدين التوسع على حساب تلمسان ففر أبو زيان أحمد الثالث إلى " دبدو " لكن أميرها عمر بن يحي الوطاسي غدر به و اعتقله هو و وزيره منصور بن أبي غانم، لكنه عدل عن رأيه فقام بإطلاق سراح هؤلاء [1].

المطلب الثاني : علاقة أتراك الجزائر بالوطاسين

أ– العلاقات الوطاسية الجزائرية في عهد خير الدين :

شهدت العلاقات الجزائرية الوطاسية في بداية حكم خير الدين للجزائر نوعا من الركود بل انعدام اتصال بين الطرفين ، و لعل ذلك راجع إلى أن كل طرف كان مشنغلا بتهيئة الأوضاع داخل مملكته ، فقد شهدت هذه الفترة انشغال خير الدين بإخماد تلك التمردات التي كانت ضده مثل تمرد ابن القاضي من جهة و من جهة أخرى تمرد سلطان الدولة الزيانية بالإضافة إلى انشغاله بحروبه ضد الأسبان [2].

أما بالنسبة لمحمد البرتغالي فقد كان منشغلا بمواجهة الأشراف السعديين الذين أصبحت دولتهم أقوى من الوطاسين .

[1] – عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 130.

2–محمد الطمار ، مرجع سابق ، ص 237 .

لكن لم يدم الوضع طويلا حتى عادت العلاقات بين أتراك الجزائر و الوطاسين لتظهر من جديد ففي سنة 1523 م عرف ميناء العرائش تردد للسفن الجزائرية، حيث كان هذا الميناء بمثابة محطة رسو لهذه السفن في فصل الشتاء [1].

و قد كان للانتصار الذي حققه خير الدين على الأسبان سنة 1529 م ، و الذي من خلاله استطاع تحرير حصن النبيون دورا كبيرا في عودة العلاقات بين الطرفين فعلى إثر هذا الانتصار أراد خير الدين تحرير وهران ، فأرسل وفدا إلى السلطان الوطاسي أحمد أبو العباس ليطلب منه المساعدة في تحرير وهران[2] .

غير أن مساعي خير الدين في الحصول على تلك المساعدات باءت بالفشل ، لأن هذا الأخير كان منشغلا بحروبه مع السعديين[3]، فقد شهدت سنة 1529م انهزام أحمد أبو العباس الوطاسي أمام الجيش السعدي وقد تكبد على إثرها خسائر كبيرة قضت على أي مساعدات وطاسية ممكنة لخير الدين .

ولكن وبالرغم من أن هذه المعركة ساهمت في الحيلولة دون تقديم السلطان الوطاسي مساعدات لخير الدين إلا أنها ساهمت في توطيد العلاقات بين الجانبين خاصة وان المعركة زادت من النفوذ السعدي في المغرب الأقصى .

وعليه أصبح أحمد أبو العباس الوطاسي يبحث عن حليف له في حربه مع السعديين [4]، فقام بالتقرب من جديد من خير الدين ويظهر هذا التقارب من خلال تلك المساعدات التي تحصل عليها خير الدين سنة 1531من قبل السلطان الوطاسي والمتمثلة في تزويد العديد من السفن الجزائرية بالمؤن التي كانت الجزائر بحاجة إليها، وفي سنة 1532م أرسل خير الدين سفيرا إلى

[1] – هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص 506 .

2– Primoudaie , opcit , p 35 .

3- الإفراني ، مصدر سابق ، ص 20

4 – عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص55.

.

السلطان الوطاسي لحمد أبو العباس الذي أبدى استعداده في مساعدته في تحرير الثغور المغربية لقد أدي التقارب بين الوطاسيين وخير الدين إلى مسارعة الأسبان والبرتغال لتحصين مراكزهم في شمالي المغرب الأقصى [1].

خاصة وان التحالف الوطاسي الجزائري قد أتى بنتيجة سنة 1534م حيث استطاع القائد العطار تحرير مدينة غساسة من الأسبان ، وكذلك قيامه بمحاصرة مليلية [2] .

أما بالنسبة للجزائر فقد سارعت اسبانيا إلى إخلاء بعض المناطق الجزائرية مثل مدينة هنين التي أخليت سنة 1534م.

كما قام شرلكان بتجهيز حملة على تونس سنة 1535م ، وذلك بهدف إضعاف قوة خير الدين وبالتالي القضاء على أي احتمال تعاون ممكن بين الوطاسيين وخير الدين[3] .

كما تظهر العلاقات الجزائرية الوطاسية في هذه الفترة من خلال تقرب أحمد الوطاسي من ملك فرنسا فرنسوا الأول الذي كانت تربطه علاقة جيدة بالدولة العثمانية من جهة و من جهة أخرى مع أتراك الجزائر و على رأسهم خير الدين بربروس ، حيث جمعت الطرفين مراسلات سنة 1533 م .

لكن و بالرغم من العلاقات الجيدة التي ربطت الطرفين إلا أنه لم يحدث تعاون بينهم و خاصة بعد استدعاء خير الدين إلى اسطنبول و توليه منصب قائد البحرية العثمانية سنة 1533، فقد كان هذا حاجزا في عدم تقديمه مساعدات للسلطان الوطاسي أحمد أبو العباس لتحرير أصيلا وطنجة التي حاصرها سنة 1536 كذلك نلاحظ غياب مساعدات خير الدين لأحمد الوطاسي الذي كان يخوض معركة في هذه السنة مع السعديين [4].

1- De castries , op cit ,t1 ; p29

2- عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص 56 .

3- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص139.

4- عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص56.

ب – العلاقات الوطاسية الجزائرية بعد خير الدين :

إذا كانت فترة خير الدين شهدت نوعا من العلاقات الجزائرية المغربية ، أي احتمال وجود تعاون بين القرين ، فإن الفترة التي تلت حكم خير الدين و خاصة فترة حسن أغا ، فقد عرفت غياب أي تعاون بين الطرفين ، و ذلك راجع إلى انشغال حسن أغا بالتصدي للأسبان الذين زاد تهديدهم لإيالة الجزائر بعد الاستيلاء على تونس سنة 1535 م [2]، أما بالنسبة للوطاسيين فقد أدى انهزامهم أمام السعديين في معركة بوعقبة سنة 1535 م إلى التفكير في مهادنة الأسبان والبرتغال حيث تم توقيع معاهدة بين الطرفين في 24 أكتوبر 1537 م و التي تضمنت شروط تمنع استقبال السفن المعادية لأحد الطرفين على ميناء كل من الطرفين ، و عليه أصبح يتوجب على الوطاسيين منع السفن الجزائرية من الرسو في ميناء العرائش و تيطوان بينما كانت تتردد عليه باستمرار [3].

لكن هذه المعاهدة لم تدم طويلا بين البرتغال و الوطاسيين، فما لبث الوطاسيين فترة طويلة حتى خرقوا بنودها، فمن خلال الوثيقة المؤرخة في 30 سبتمبر 1540 م يتضح لنا أن العلاقات بين حكام الجزائر و الوطاسيين عادت إلى حالتها التي كانت عليها أثناء حكم خير الدين، و أن المعاهدة التي وقعتها الدولة الوطاسية مع البرتغال قد خرقت ، و ذلك يظهر من خلال قيام أبو حسون بشراء الأسرى من السفن الجزائرية خارقا بذلك بنود معاهدة 1537 م .
كما تؤكد وثيقة أخرى مؤرخة في 01 أكتوبر 1540 م خرق المعاهدة ، و ذلك يظهر من خلال طلب أبو حسون أربعين سفينة جزائرية لاستعمالها في حربه ضد القائد الإسباني بمليلة[1]، في المقابل أرسل حسن أغا سفير إلى أبو حسون يطلب منه إعانته ببعض السفن التي سوف يستعملها ضد حملة شارلكان و قد أرسل السفير في 1541 م[4].

---

1 – De castries , op cit ,t1p79.

2– هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص 509 .

3– عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 255 – 256 .

4 – De castries , op cit ,t1 ,p88.

كما سمحت السيدة الحرة عائشة التي كانت تحكم مدينة تيطوان و التي أصبحت زوجة للسلطان الوطاسي أحمد أبو العباس للسفن الجزائرية التي يقودها أتراك الجزائر بالدخول إلى ميناء تيطوان و ذلك سنة 1542 م .

وعليه يتضح أن العلاقات الجزائرية– الوطاسية كانت قوية إلى حد جعل الوطاسيون يخرقون الهدنة التي كانت سنة 1535 م و التي حددت مدتها بـ 11 سنة[2].

gو قد استمرت العلاقات الحسنة بين الطرفين في عهد حسن بن خير الدين ، و يظهر ذلك من خلال رفض السلطان الوطاسي تقديم المساعدات للثائر بوطريق [3]الذي ثار سنة 1544 م والتجأ إلى فاس، غير أن السلطان الوطاسي أحمد أبو العباس رفض استقباله.[4]

و بعد ما استطاع حسن بن خير الدين التوسع على تلمسان سنة 1545 م فر السلطان الزياني أحمد بن عبد الله و وزيره منصور بن أبي غانم و إلتجا إلى عمر الوطاسي حاكم دبدو غير أن هذا الأخير رفض تقديم المساعدات لهم ، بل إنه قام بالقبض عليهم.

لكن و بالرغم من العلاقة الجيدة التي جمعت أتراك الجزائر بالسلطان الوطاسي إلا أنه لم يكن هناك تعاون عسكري بين الطرفين، الأمر الذي سوف يدفع السلطان الوطاسي إلى الالتجاء إلى البرتغاليين بعد إطلاق سراحه و كأنه كان متأكدا من استحالة حصوله على مساعدات من قبل حكام الجزائر، أما بالنسبة لهؤلاء فيمكن أن نفسر غياب مساعداتهم إلى تأكدهم من ضعف القوة الوطاسية مقابل القوة السعدية و عليه فإنهم لم يكونوا مستعدين للدخول في صراع مع جبهة أخرى غير الاسبان ، و ربما كان للتحالف الوطاسي البرتغالي دور في تأزم العلاقات الجزائرية الوطاسية[5].

---

1 – De castries , op cit ,t1p , 90 .

2 – primaudaie ,op,cit ,p252.

3–محمد داود ، مرجع سابق ، ص120.

4– إندلعت ثورته بالقرب من مليانة في مارس 1544 م ، استطاع البايلرباي حاجي باشا من إخمادها ، الأمر الذي جعل بوتريقة يفر إلى فاس ، و بقي هناك إلى غاية الحملة السعدية على تلمسان سنة 1550 م . للمزيد أنظر Haédo , op cit , p 77

5-الناصري ، مصدر سابق ، ص163.

المطلب الثالث : العلاقات الزيانية- السعدية

إن الظروف التي كانت تمر بها الجزائر و المغرب الأقصى خلال هذه الفترة تميزت بظهور عدة قوى سياسية في البلدين هدفها السيطرة على الحكم ، ففي المغرب الأقصى نجد الدولة السعدية التي بدأ نفوذها يمتد من الجنوب للشمال و الذي قابله الضعف و اللا استقرار في مملكة تلمسان و حكامها الزيانيين الذين لم يجدوا منالتهم في حكم تلمسان.

إن الجهاد ضد النصرانيين كان من أولويات البلدين ، غير أن الدولة السعدية بالمغرب الأقصى كانت تتبع وقائع المملكة الزيانية بعناية و ترقب جميع تحركاتها التي أثرت على الوضع داخل المملكة من فوضى عن طريق تولية أمراء و تنحيتهم إما من طرف الأسبان أو العثمانيين[1].

في خضم هذا التطورات السياسية لم تتضح العلاقات الزيانية السعدية و لم تكن علاقات قوية وفعالة بينهما ، بسبب أن الزيانيين لم يتقربوا من السعديين بحكم أن الوطاسيين كانوا يمثلون السلطة في المغرب الأقصى . رغم أن الزيانيين لم يجدوا الدعم من الوطاسيين ضد الأسبان المتكالبين على سواحل المغرب الأوسط أو ضد العثمانيين الذين أرادوا توسيع نفوذهم لم يلجؤوا لطلبه من السعديين رغم توسيع قوتها على المغرب الأقصى و قضائهم على الوطاسيين فيما بعد ذلك خشية طمعهم في إقليم تلمسان كسابقيهم من حكام المغرب الأقصى [2].

غير أنها كانت تأوي الأمراء الزيانيين اللاجئين إليها و الهاربين من بطش أسرهم الحاكمة الطالبين العون و النجدة لاسترجاع عرشهم من العثمانيين ، فزيادة التوسع العثماني في الجزائر و فتوحاتها في المنطقة الغربية أثار قلق الأمراء الزيانيين بتلمسان ، ما جعل الأمير الزياني اللاجئ بالمغرب أحمد بن عبد الله يطلب الاستعانة من محمد الشيخ السعدي [3] .

---

[1] – هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص 516 .

[2] – نفسه ،ص 497.

3– عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ص299.

فبعد أن دخل محمد الشيخ فاس سنة 1549م و سقوطها بيد السعديين كان يوجد فيها كبار التلمسانيين يعيشون فيها و شغلوا مناصب كبيرة جعلتهم مقربين من الشريف السعدي ، فكثر أنصاره بتلمسان و اخذوا يترددون إليه و يتقربون منه.

كان محمد الشيخ السعدي يلحظ تولي الحسن بن عبد الله الثاني [1]تحت نفوذ العثمانيين ومدى إصرار أخيه أحمد الأعرج على الاستعانة بملوك بني زيان،ما جعله يدخل في مفاوضات مع السلطان الزياني لاستمالته لقطع أي تحالف أو تأمر مع أخيه عليه و كان يجهز نفسه لغزو تلمسان باستغلال القبائل الموالية للسلطان الزياني المخلوع وأصبح من المقربين للسلاطين السعديين .

لم يتوانى محمد الشيخ في قبول عرض الأمير الزياني المخلوع لحرصه على ضم المنطقة الشرقية نظرا لإستراتيجيتها و اعتبارها منطقة دفاع لهم ، و من اجل مساعدة الأمير اللاجئ لاسترداد حكمه ، دخل في مفاوضات مع أشياخ و أهالي تلمسان لتنظيم وسائل التعاون بينهم فقد استقبل محمد الشيخ حوالي 15 رجلا من أشياخ قبائل مديونة و أكدوا مساعدتهم على فتح تلمسان كرها في الأسبان و العثمانيين[2].

إن الجهاد ضد الغزو الأجنبي كان من أولويات الزيانيين و السعديين ، و هو ما أدى لنوع من التقارب السطحي للطرفين لهذا نرى نوع من الجمود في علاقتهم بالتضامن و الاشتراك لغاية أن أصبحت الدولة السعدية قوة بارزة و الزيانين قوة واهية برز نوع من التدخل السعدي المباشر في أمور الزيانيين بهدف ضمها لأقاليمهم[3].

---

[1] – هو السلطان الحسن بن عبد الله الثاني ، وهو أخر سلاطين دولة بني زيان ، تولى عرش بني زيان سنة 1545م إلى غاية 1554م تحت إشراف السلطة العثمانية في الجزائر ، فكان كعامل ليس له من النفوذ شيء ويوصف بالعجز والتقصير، اظهر ميله للإسبان فنقم عليه الناس ؛ **أنظر** عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ج2، ص229.

2-عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص76 .

3- محمد الصلابي ، مرجع سابق ، ص 219.

المطلب الرابع : علاقة حكام الجزائر بالسعديين

تميزت هذه الفترة بعلاقات متباينة و لم تكن واضحة و كانت تتماشى وفق الظروف والمصالح ، فالمرحلة التي واكبت حكم العثمانيين للجزائر سنة 1519، و تعد مرحلة تنظيمية للبلاد و ترتيب الأمور الإدارية و السياسية ،و نفس الشيء عرفته الدولة السعدية التي كانت تحاول إثبات وجودها و تقوية نفوذها.[1]

فنحن لا نجد دعائم للطرفين مع بدايات القرن السادس عشر نظرا للانشغال بالأمور الداخلية والخارجية[2]، فقد تأسست العلاقات بين البلدين مع بداية الجهاد ضد الأسبان و البرتغال في شمال إفريقيا، فمنذ تولي السعديين السلطة بالمغرب ادعوا أنهم أحق بالخلافة للمسلمين واتخذوا لقب الخليفة فيما بعد و اصطدموا بقوة مجاورة لهم لم يحتكوا بها من قبل ، ألا و هي الأتراك العثمانيين[3].

و كان يعتبر السعديين الأتراك العثمانيين محتلين و أنهم يسعون لإخضاع المغرب و الاستيلاء عليه ، كما فعلوا بالجزائر لذلك أخذوا في الدفاع عن بلادهم من الجبهة الشرقية (الجزائر) والجبهة الشمالية (الأسبان و البرتغال)[4].

و في المقابل أحس العثمانيون و هم في الجزائر أنهم أحق بحمايتها من الغزو الأجنبي وأصبحت كل دولة سواء بالجزائر أو المغرب الأقصى تحرر مناطقها الشمالية و انطلاقا من

---

1 – عبد الكريم غلاب ، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي** ، ج2 ،ط1،دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 2005، ص 299 .

2 –أحمد سالم علي ، العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن 16م ، دورية كان التاريخية ، العدد12، الكويت ، 2011 ص 50 .

3– محمد الصلابي ، مرجع سابق ، ص219.

4– عبد الكريم غلاب ، المرجع السابق ، 299.

5– شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ المغرب العربي الكبير ، مرجع سابق ، ص99.

هذا التباين في المصالح و أحيانا تتشارك فيها ، كان هناك نوع من النزاع القائم على التهدئة والترقب عن بعد للطرف الأخر .

إن الجهاد أدى إلى نوع من التقارب بين الجزائر و السعديين ، فلقد استفاد السلطان السعدي أحمد الأعرج من الجهود التي بذلتها الدولة العثمانية و الشعب الجزائري بقيادة خير الدين في صد الغزو الأجنبي ، ما مكنه من محاصرة أسفي و أزمور في 1534 م و كادت أن تقع في قبضته لو لا وصول المساعدات للبرتغال[1].

و لعل فكرة التحالف و التعاون بين البلدين لم تكن واضحة في شكل عقود و اتفاقيات و إنما كانت في شكل إرسال إمدادات معتبرة من جيش ، فنجد العثمانيون مثلا في صفوف السعديين يقومون برمي المدفعية و لعبوا دورا هاما في تحرير أغادير المغربية عام 1541 م ، كما نجد السعديين يستعينون بالعثمانيين لتعليمهم على الأسلحة والاستفادة من إمكانياتهم القتالية والحربية[2].

لكن بعد أن قام خير الدين بترتيب أموره و صد حملة شار لكان 1541 م بدأ حكام الجزائر يوسعون نظرتهم التوسعية لجميع المناطق حتى التي نحو الحدود الغربية بتلمسان عاصمة الزيانيين عن طريق التدخل في شؤونها و تولية أمرائها[3].

إن العثمانيون بعد توسعهم في الجزائر شرقها و غربها وجدوا في المغرب الأقصى مجالا مغريا يقبلون عليه ، مستغلين حاجة السعديين إليهم في المجال العسكري فكان العثمانيون في الجزائر يطالبون بمبالغ مرتفعة لتحقيق طلباتهم المتمثلة في الأسلحة[4] ، فكونوا مجموعة مكنتهم في

1- عبد الكريم غلاب ، مرجع سابق ، ص301.

2- عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ،ص 76.

3- . شوقي الجمل ، المغرب العربي الكبير ،مرجع سابق، ص99.

4- عبد الكريم غلاب ، مرجع سابق ، ص309.

توسيع نفوذهم في المغرب الأقصى حتى بلغو العاصمة فاس وأخذوها من الوطاسيين ، فنرى أن حكام الجزائر كان لهم دور بالغ في الإطاحة بالوطاسيين وإن لم يكن أمرا مقصوداً[1].

أصبحت مناطق نفوذ أتراك الجزائر تجاوز مناطق نفوذ السعديين ما جعل الأسبان والبرتغال يرتقبون أي تعاون بين القوتين الإسلاميتين ضدهم من طرف الجزائر والمغرب الأقصى ، وذلك من خلال الرسائل التي بعثها محمد الشيخ لحاكم الجزائر يقترح عليه القيام بعمليات مشتركة لفتح وهران و المرسى الكبير،أي أن اتصاله كان يهدف للتعاون المشترك ، إلا أن هذه المراسلات لم تنجح بدعوى أن السعديين هم أنفسهم كانوا يطمحون في الوصول للجزائر عن طريق تلمسان[2].

إن أطماع كلا الطرفين في بسط السيطرة على المنطقة حال دون تحقيق تعاون و تحالف مشترك ضد أي خطر أجنبي ، بل أدى لبروز نوع من التنافس و النزاع بين البلدين خاصة على الحدود الغربية للجزائر و المتمثلة في منطقة تلمسان التي اعتبرها الأتراك الجزائريون منطقة عبور لهم و اعتبرها السعديين منطقة دفاع لهم[3].

فبعد أن استطاع حكام الجزائر في عام 1548 م من توثيق حكمهم و وجودهم في المنطقة المغربية عن طريق القضاء على أمراء بني زيان المتحالفين مع الأسبان والإمساك بزمام الأمور، و قاموا بتعيين الأمير الحسن التابع لهم و وضعوا حامية تتكون من 200 تركي أصبحت الجزائر على أعتاب المغرب الأقصى و بدؤوا يتطلعون لإخضاع المغرب الأقصى ما جعل محمد الشيخ يفكر في كيفية صدهم عن عاصمته فاس عن طريق استمالة أهالي تلمسان المناوئين لحكام الجزائر و بدأ يحضر للدخول لتلمسان [4].

1- هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص519.

2- عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص76.

3- شوقي الجمل ، المغرب العربي الكبير ،مرجع سابق، ص99.

4- أحمد سالم علي ، مرجع سابق ، ص50.

المبحث الثاني : بداية الصراع بين القوى المهيمنة (1549-1554م)

المطلب الأول : دور تلمسان في بروز النزاع

عرفت هذه المرحلة من مراحل العلاقات الجزائرية المغربية خلال فترة حكم البيلربايات بداية الصراع بين القوة السعدية التي أصبحت تسيطر على أغلب المغرب الأقصى منذ سنة 1549م و بين القوة العثمانية في الجزائر التي أصبح لها نفوذ شمل أغلب مناطق الجزائر خاصة و أنها استطاعت القضاء نسبيا على الدولة الزيانية سنة 1549 م و بتوسع حسن بن خير الدين على تلمسان أصبحت لهذه الأخيرة دور كبير في صياغة و بلورة العلاقات الجزائرية المغربية . [1]

فبتوسع حسن بن خير الدين على تلمسان و بعض المناطق المجاورة للدولة السعدية وخاصة إذا تعلق الأمر بمدينة وجدة التي تعتبر بمثابة بوابة المغرب الشرقية ،دورا كبير في بروز النزاع ، فقد أصبح محمد الشيخ السعدي متخوفا من القوة الجزائرية التي كان يرى فيها أنها سوف تهدد استقرار دولته ما دامت متواجدة في تلمسان و وجيدة .

و عليه فقد أدت مخاوف محمد الشيخ السعدي إلى تعكير الجو بين الطرفين [2] قاضيتا بذلك على أي تعاون بين الطرفين ، خاصة و أن محمد الشيخ كان قد أبدى استعداده للتحالف مع حسن بن خير الدين في تحرير المراكز الجزائرية و المغربية من يد الأسبان و البرتغال ويظهر هذا من خلال التقرير الذي بعثه حاكم وهران و المؤرخ في 21 افريل 1549 م والذي يؤكد أن محمد الشيخ قد أرسل إلى باشا الجزائر يعرض عليه التحالف من أجل تحرير وهران والمرسى الكبير [3] .

غير أن هذا التحالف الذي أخاف الأسبان و البرتغال ضرب عرض الحائط، خاصة عندما أقدم محمد الشيخ على استقبال السلطان الزياني أحمد بن عبد الله الذي كان لاجئا في المغرب

---

[1] – للمزيد أنظر الفصل الأول .

[2] – عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص 76 .

-3 Decastries , op cit , t I , p 246

الأقصى منذ سنة 1545 م و قد أبدى السلطان السعدي استعداده في تقديم المساعدات لأحمد بن عبد الله لاسترجاع تلمسان إلى سلطته .

كما دخل محمد الشيخ في مفاوضات مع أهالي تلمسان و أشياخ قبائلها لتنظيم وسائل التعاون بينهم [1] .

ففي مارس 1549م استقبل محمد الشيخ السعدي وفدا مكونا من خمسة عشر وجيها من وجهاء مديونة بالإضافة إلى وفد من تلمسان الذين أكدوا له مساعدته في غزو تلمسان [2] وفي شهر جويلية من نفس السنة أرسل وفد من المورسكيين المقيمين بالجزائر رسالة إلى السلطان السعدي محمد الشيخ دعوة فيها إلى مساعدتهم ضد حكام الجزائر . [3]

كما لعبت العائلات التلمسانية المتواجدة في مدينة فاس دورا في بروز النزاع خاصة تلك العائلات التي أصبح لها مناصب كبيرة في المدينة ، و مما زاد في حدة النزاع هو زيادة أنصار محمد الشيخ السعدي في مدينة تلمسان و المناطق المجاورة الناقمة على أتراك الجزائر . [4]

أما عن السبب الذي جعل محمد الشيخ السعدي يفكر في الاستيلاء على تلمسان فيرجع إلى الدور الكبير الذي تلعبه هذه المدينة خاصة و أنها تعتبر بمثابة بوابة تربط بين الشرق المغربي و غرب الجزائر و أن من يملكها يصبح باستطاعته التدخل حتى في عمق الجزائر و المغرب الأقصى.

---

[1] – عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص 76 .

-2 Decastries , op cit , t/ I , p 208 .

-3 Idid , p 321

[4] – عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 178 .

بالإضافة إلى أنها كانت تتمتع بموقع ممتاز جعلها محطة تجارية هامة بين بلاد السودان و أوربا[1]، و عليه أصبحت هذه المدينة التي عرفت في هذه الفترة ضعف كبير وذلك راجع إلى ضعف أمرائها الزيانيين الذين أصبحوا منقسمين في ولائهم بين أتراك الجزائر الذين بسطوا نفوذهم على المنطقة الشرقية للدولة الزيانية و بين الأسبان الذين كانوا يسيطرون على المنطقة الغربية لدولة الزيانية [2].

وعليه فكر محمد الشيخ السعدي في الاستيلاء على المدينة حتى يضمن عدم تدخل حكام الجزائر في حدود دولته خاصة و أنه كان متأكدا من قوة هؤلاء ، الأمر الذي جعله يسعى إلى الاستيلاء على تلمسان و بالتالي وضع قدمه في الجزائر و أنه سوف يتخذ مدينة تلمسان كقاعدة للاستيلاء على كامل البلاد الجزائرية .

وإلى جانب الدور الذي لعبته تلمسان في بروز النزاع بين الطرفين ، كان للدور الذي لعبه أبو حسون الأمير الوحيد الذي بقي من سلالة الدولة الوطاسية دورا أخرا في الصراع الذي اندلع بين حكام الجزائر و الدولة السعدية ، خاصة بعد فرار هذا الأخير إلى الجزائر مستنجدا بحكامها[3] و قد أدى وصول نبأ استنجاد أبو حسون بحسن بن خير الدين الذي أبدى استعداده لمساعدته إلى زيادة مخاوف محمد الشيخ السعدي الذي سارع إلى الهجوم على تلمسان حتى يقضي على ذلك التحالف [4].

[1] – عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 154 .

[2] – عبد العزيز الفلالي ، مرجع سابق ، ص78.

[3] – عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص154.

4– إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص248.

المطلب الثاني : الاصطدام الجزائري السعدي الأول في تلمسان

أ- الحملة السعدية على تلمسان 1549م

استغل محمد الشيخ السعدي فرصة لجوء الأمير الزياني أحمد بن عبد الله إلى فاس واستنجاده به، كما استغل فرصة الاستنجاد الذي تلقاه من أعيان مدينة تلمسان وبعض مناطق الغرب الجزائري و سارع إلى تجهيز حملة بقيادة ابنه محمد الحران [1]و عبد الله على تلمسان و كان ذلك في أفريل 1549 م [2].

و قد استطاعت هذه الحملة الاستيلاء على مدينة وجدة و طرد الحامية الجزائرية منها وعلى إثر استيلائهم على وجدة أصبحت تلمسان مكشوفة أمامهم مما سهل على محمد الحران احتلال المدينة في 09 جويلية 1550 م بعد حصار دام تسعة أشهر ، و قد كان لأنصار محمد الشيخ المتواجدين في تلمسان دور كبير في مساعدته على الاستيلاء على المدينة [3].

و باستيلاء السعديين على تلمسان اضطر حكام الجزائر المتواجدين هناك إلى الانسحاب إلى مدينة الجزائر و بعد احتلال المدينة سارعت المناطق المجاورة إلى مبايعة محمد الحران الذي استغل فرصة انتصاره و قرر الزحف على مستغانم التي خضعت له دون مقاومة هي الأخرى.

غير انه لم يستطع إنهاء خطته في الاستيلاء على أغلب المناطق الغربية للجزائر و ذلك راجع إلى إصابته بمرض اضطر بسببه إلى التخلي عن قيادة الجيش لصالح أخوه عبد القادر الذي قام بالإغارة على قبيلة بني عامر القريبة من وهران و الموالية إلى السلطة العثمانية في الجزائر[4]

أما بالنسبة للأمير الزياني الحسن فقد ألقي عليه القبض بينما فر أخوه الأمير عمر الذي استنجد بباشا الجزائر حسن بن خير الدين [5].

---

[1] – هو محمد ابن محمد الشيخ السعدي ، كان أنجب أولاده، تولى قيادة الجيش السعدي في عهد أبيه ، توفي بسبب علة أصابته أثناء حملته على تلمسان سنة 1550 م ، **للمزيد أنظر** : إبراهيم السملالي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 130 .

2- عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص178-179.

[3] – دي طوريس ، مصدر سابق ، ص169.

[4] .– إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2، مرجع سابق ، ص248.

[5] – Haedo , Rois D'Alger, op ,cit ,p77.

و يرجع دي كاسترو سبب انتصار محمد الحران في احتلال تلمسان إلى ضعف الحامية الجزائرية فيها و التي كانت تتكون من 200 جندي فقط ، بينما كان عدد الحملة السعدية 30 ألف جندي ، و عليه كان يستحيل على الحامية الجزائرية الانتصار على الجيش المغربي [1].

ب- استرجاع تلمسان:

كان لاحتلال تلمسان من قبل الدولة السعدية أثر كبير على العلاقات الجزائرية المغربية و بما أن تلمسان كانت تتمتع بموقع إستراتيجي جيد يمكن الجانب المسيطر عليها من التصدي للجانب الأخر، فقد أدى سيطرة السعديين على هذه المدينة إلى توطيد سيطرتهم على الجهة الشرقية للمغرب و بالتالي القضاء على أي تدخل جزائري في المغرب الأقصى ، كما فتحت لهم باب التوسع في المغرب الأوسط (الجزائر) حيث وصلوا حتى نهر شلف[2].

هذا الأمر زاد من مخاوف حسن بن خير الدين الذي سارع إلى تجهيز حملة مكونة من خمسة ألاف من الفرسان و ألف سبايهي[3] و ثمانية ألاف من القبائل و قد أسند قيادتها إلى السلطان عبد العزيز سلطان بني عباس ، أما القائد الأعلى فهو حسن كورصو ، الذين اتجهوا إلى مستغانم ، و في 04 سبتمبر 1550 م اندلعت الحرب بين الطرفين في منطقة ريو – سلادو RIO – SALADO [4].

---

1 – De castries ,op,cit,T/1,p534.

2- عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص79 .

3-هي فرقة من الفرسان في الجيش العثماني ، تطلق على الفارس صاحب الأرض الذي يشترك في الحروب مع السلطة الحاكمة ، **للمزيد أنظر** : سهيل صابان ، مرجع سابق ، ص 132 .

4- De Grammont , Histoire d'Alger sour la domination turque (1515 – 1830) leroux,éditeur Paris , 1887 , p 76

وقد كان النصر فيها حليف الجيش الجزائري ، بينما تكبد الجيش المغربي خسائر كبيرة ، مما اضطر به الأمر إلى التراجع إلى نهر ملوية [1].

ولما علم محمد الشيخ بهذه الهزيمة أرسل مددا من الجيش بلغ عدده 20ألف تحت قيادة ابنه عبد القادر، وكان يهدف من هذا التصدي للجيش الجزائري الذي أصبح على مشارف المغرب الأقصى، وقد وقعت معركة بين الطرفين على الحدود المغربية ، انتهت بهزيمة الجيش المغربي الذي اضطر للانسحاب إلى ماوراء نهر ملوية ومقتل الأمير السعدي عبد القادر [2] .

أما تلمسان فقد عاد إليها حسن كورصو الذي وضع فيها حامية تتكون من ألف وخمسة مئة جندي، وقام بتنصيب الأمير الزياني الحسن بن عبد الله الثاني غير ان سلطته كانت شكلية فقد كانت السلطة الرسمية في يد صفا بك ، الذي عينه حسن كورصو قائدا للحامية هناك[3] .

المطلب الثالث : محاولة تحسين العلاقات

تدخل السلطان سليمان القانوني لتحسين العلاقات :

بعد الهزيمة التي مني بها الجيش السعدي أمام الجيش الجزائري حاول السلطان سليمان القانوني حل المشاكل السياسية التي اندلعت بين الجزائر و المغرب الأقصى والتي كان لتلمسان و أمرائها الزيانيين دور في تعكير الجو بين الطرفين و من أجل هذا لجا السلطان سليمان إلى الحل الدبلوماسي فأرسل في سنة 1553 م وفدا من العلماء يرأسهم الفقيه أبي عبد الله محمد بن

[1] – أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص328-329.

2- De Grammont,op ,cit,p76

3- Haedo, Rois d' Alger, op,cit ,p83-84.

علي الخروبي [1]إلى المغرب الأقصى للبحث في شروط السلام و المهادنة بين الجزائر والمغرب الأقصى ، و على إثر هذه البعثة حددت الحدود بين الجزائر و المغرب الأقصى وقد اعتبر نهر ملوية كحد فاصل بين القطرين [2] ،و قد كانت الجزائر تسعى إلى تحديد الحدود بينها و بين المغرب الأقصى ، لكي تضبط تحركات القبائل المتمردة عليها من جهة ، و حماية القبائل المؤيدة لها من جهة أخرى مثل قبيلة بني عامر[3].

كما أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني إلى السلطان محمد الشيخ رسالتين مع الوفد ومن خلال تلك الرسائل اتضح لنا أن السلطان العثماني وضع كل جهة من أجل إصلاح الوضع المتأزم بين الطرفين و عليه احتوت هذه الرسالتين على ما يلي :

- الدعوة إلى توقيف الحرب بين الطرفين و حسن الجوار .
- عزل حسن باشا الذي اتهمه لميله للعنف و عدم حسنه للجوار مع المغرب الأقصى.
- تعيين صالح رايس بايلرباي على الجزائر بدله حسن باشا و سوف يعمل على تحسين العلاقات بين الجزائر و المغرب الأقصى [4] .
- ذكر الهدف الأساسي للبلدين والمتمثل في التصدي لصليبيين الأسبان و البرتغال الذين كانوا قد نالوا من السواحل المغاربية و ليس الصراع على النفوذ و التوسع بين الطرفين .

و في هذا يذكر السلطان سليمان القانوني :

" ..... **و لما بلغ إلى سمعنا الشريف أن أمير الأمراء بولاية الجزائر سابق حسن باشا لم يحسن المجاورة مع جيرانه و مال إلى جانب العنف و الإعتساف ، و نبذ وراء ظهره طرق الوفاق و الإئتلاف ، و سد باب الإتحاد من المجاهدين حماة الدين لذلك بدلناهم غيره**

---

[1] – محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري ، فقيه ومحدث من كبار العلماء ، ولد في قرية فرقوش في طرابلس الغرب نشأ في الجزائر وولى الخطابة بها ، سافر الى المغرب الاقصى سنة 1553م ، كسفير بين السلطان سليمان القانوني ومحمد الشيخ السعدي ، توفي بمدينة الجزائر سنة 1556م ، **للمزيد انظر** : عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص133.

2- أحمد توفيق المدني ، حرب 300سنة ، مرجع سابق ، ص 330،331 ؛ أحمد سالم علي ،مرجع سابق ، ص 52.

3- هوارية بكاي ،مرجع سابق ، ص 539.

4- محمد حجي ، مرجع سابق ، ص 10-11؛ أحمد سالم علي ، مرجع سابق ، ص 52.

فأنعمنا بولاية الجزائر ..... صالح باشا ..... و أمرناه لإقامة الشرع الشريف المتين و إحياء ..... المرسلين و صون الرعايا و حفظ البريا الذين هم وائع الله تعالى و أن يكون مع أهالي الإسلام على أكملةإتحاد وأجمل إتفاق .... و لا بد لكم أن تحسنوا المجاورة وتذهبوا طريق حسن المعاشرة .... "[1].

لكن هل يا ترى كان السلطان العثماني سليمان القانوني يسعى إلى تحسين العلاقات، أم أنه كان يطمئن بال السلطان السعدي محمد الشيخ لكي لايقوم بأي هجوم جديد على تلمسان خاصة وان صالح رايس البيلرباي الجديد كان مكلفا أولا بوضع حد لبقايا السلطة الزيانية التي أصبحت تهدد وضع الجزائر ، بالإضافة إلى هذا كان هناك خطر أخر أوجب على السلطان العثماني إلى الإسراع لحل النزاع بين الجزائر والمغرب الأقصى والمتمثل في خطر إمكانية حدوث تحالف إسباني سعدي يقضي على التواجد العثماني في الجزائر ، الأمر الذي أدى به إلى عزل حسن بن خير الدين ودعوة محمد الشيخ السعدي إلى حسن الجوار.[2]

والذي يؤكد أن السلطان سليمان القانوني كان يطمئن محمد الشيخ السعدي فقط هو إدعائه انه قام بعزل حسن باشا بحجة انه لم يحسن الجوار بينما تذهب اغلب المصادر إلى أن سبب عزل حسن باشا من منصب بايلرباي الجزائر يعود إلى الشائعات التي أشيعت حوله والتي عمل السفير الفرنسي على إشاعتها داخل الديوان العثماني والتي مفادها أن حسن باشا كانت له نية الاستقلال بالجزائر عن الخلافة العثمانية وذلك راجع إلى العلاقة السيئة التي جمعت حسن باشا بالفرنسيين.

1 – عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي ، ج 8، ص 17-18.

2- عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 79.

ولما كانت الدولة العثمانية متخوفة من إمكانية استقلال الجزائر عنها سارعت إلى عزل حسن باشا واستدعائه إلى إسطنبول [1].

المطلب الرابع : التحالف الجزائري الوطاسي لاسترجاع فاس

تمكن صالح رايس بعد أن أصبح والياً على الجزائر من الهجوم على السواحل الأجنبية وظفر بعشرة سفن في سنة 1553 م ، فساقها للجزائر و كان من أهلها أبو حسون الوطاسي الذي خلعه أخيه محمد الشيخ من الحكم ، وقتها فر أبو حسون لإسبانيا لكي ينجدوه إلا أنهم رفضوا نجدته و قدموا له أموالا فقط ، بعد أن تبين لصالح رايس وجود السلطان الوطاسي وعرف ما حل به ، انزعج منه لأنه لجأ للنصارى لطلب المساعدة دون طلبها من الجزائر [2].

توجه أبو حسون للجزائر مع صالح رايس ، و بعد أن مثل بالجزائر قام بوصف محاسن المغرب و تعظيمها و اخبرهم : **" أن ملكها سلبني ملكي و ملك أبائي فهلا تعينوني و تذهبوا معي لقتاله لأستعيد عرشي و سيكون لكم منفعى في ذلك من غنائم و ذخائر و مال "** .

اعتبر صالح رايس حاكم الجزائر الأمير الوطاسي وسيلة لاستخدامه لتوسيع النفوذ العثماني باتجاه فاس لذلك بدأ الاهتمام بينهما و حدثت بينهما علاقة ودية على أساس المصالح [3].

1 – عزيز سامح الألتر ، المرجع السابق ، ص 181،182 .

2– الافراني ، المصدر السابق ، ص30.

3– كربخال ، المصدر السابق ، ج2، ص482.

و وقع الاتفاق بين صالح رايس و أبو حسون على مهاجمة فاس و الدخول للمغرب الأقصى لاستردادها من السعديين و من حكم محمد الشيخ السعدي [1].

قبل أن يتحرك صالح باشا باتجاه فاس وعده أبا حسون بأنه سيعطي الجنود الأتراك (العثمانيون) أجرا يوميا و وعده بأنه سيتنازل له عن جميع الكنوز الموجودة بفاس بعد استرجاعه للعرش [2].

كما تعهد له بأنه سيعترف بمجرد جلوسه على العرش بالتبعية للسلطان العثماني سليمان القانوني و الخطبة له على المنابر و تقديم الولاء له كسائر مناطق شمال إفريقيا [3].

غادر صالح رايس الجزائر في أوائل 1553 م بقوة تتألف من ستة ألاف جندي مسلح بالبنادق و ألف خيال و عدد من المدافع ، كما انضم إليه في الحملة ابن القاضي سلطان إمارة كوكو[4].

سارت الجيوش و مرت على وهران ، و قصدت تلمسان و هنا طلب صالح رايس مساعدة القبائل ، و وصلت القوات الجزائرية إلى بادس المغربية على رأسها صالح رايس و أبو حسون الذي تلقى الطاعة من قبل القبائل المجاورة و انضم إليه مولاي عمر ملك دبدو الذي كان لاجئا في مليلية منتظرا عودة السلطان الوطاسي [5].

---

[1] – مجهول . تاريخ الدولة السعدية التمكدارتية ، تق وقح عبد الرحيم بن حادة ، دار تنميل لطباعة والنشر ،مراكش ، 1994 ص 22.

[2] – كربخال ، المصدر السابق ، ج2، ص482.

[3] – أحمد توفيق المدني ، حرب 300 سنة ، المرجع السابق ، ص 341 .

4 – عزيز سامح الألتر ، المرجع السابق ، ص 188

5- كربخال ، المصدر السابق ، ج2، ص482.

و في هذه الأثناء كان محمد الشيخ بمراكش يشرف على العمليات الحربية ضد برابرة جبل درن المغربي ، عند علمه بالتحالف الجزائري الوطاسي و الحملة المصوبة نحو فاس فرجع فورا على رأس ما كان عنده من جنود و فرسان ثم تحرك لتازة المغربية و إنتظر القوات المشتركة [1].

كان صالح رايس يزحف ببطء ما جعل محمد الشيخ يعود لفاس لزيادة المعونة ، لم يمض على مغادرته أيام حتى دخل صالح رايس تازة و استولى عليها و أقام حامية بها [2]، بعد الإشتباك مع السعديين في معارك متواصلة في ساحة فاس انهزم محمد الشيخ وتقدمت القوات الجزائرية و معها السلطان الوطاسي نحو فاس و دخلتها في 08 جانفي 1554 م بعد الاستيلاء عليها و هنا فر محمد الشيخ السعدي بعد معارك شديدة، ففرح أهل فاس بقدومه ورجوعه لملكه و استبشروا خيرا بعودته و ضمنوا استقرارهم وأمنهم.

بعد هذا النصر بجيش يتكون من عرب و ترك عثمانيين أصبح أبو حسون يقول : " **أعيش أو أموت بعد هذا اليوم أخذت ثأر أبي أحمد من أهل سوس والجراوة** " .

تمكن صالح رايس بعد مكوثه بفاس لمدة 4 أشهر ضمان الاستقرار لأبي حسون وإخلاصه للعثمانيين و حكامها في الجزائر فلم يترك جهاده ضد الأسبان فأرسل فريقا من جنده لبلاد الريف المغربية و استرجع معقلهم الكبير جزيرة بادس ، ثم قرر الرجوع للجزائر تاركا حامية في الجزيرة تضمن إخلاص أبا حسون [3].

[1] – كربخال ، المصدر السابق ، ج 2، ص 486.

[2] – مجهول ، تاريخ الدولة السعدية ، المصدر السابق ، ص 24 .

3– أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 342.

الفصل الثالث

العلاقات الجزائرية المغربية في ظل الحكم العثماني والسعدي

تمهيد

إذا كانت العلاقات الجزائرية – المغربية في الفترة الممتدة من 1519-1554م والتي عرفت نوع من التوتر والصراع وذلك راجع إلى تعدد أطرافها فإن هذه الفترة عرفت تراجع بل غياب الدور الزياني والوطاسي في صياغة هذه العلاقات ، و ظهور طرف ثالث كان له الدور الكبير في بلورتها .

فيا ترى كيف أصبحت العلاقات بين الطرفين في خضم هذه التطورات السياسية؟.

هذا ما سوف نتطرق إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: التدخل الجزائري في المغرب الأقصى.

المطلب الأول: التحالف السعدي الأسباني ورد فعل الجزائر.

بعدما استطاع محمد الشيخ السعدي استرجاع فاس سنة 1554م من أبو حسون الذي لقي حتفه في هذه الحملة، أصبح يبحث عن حليف قوي معادي للجزائر خاصة بعد تأكده من قوة الجزائر في هذه الفترة،[1] زد على هذا فشله في القضاء نهائيا على أفراد الأسرة الوطاسية الذين سوف يهددون سلطته من جديد، خاصة وأن هؤلاء كانوا قد إلتجؤوا إلى الجزائر وأصبحوا من المقربين إلى بايلرباي الجزائر صالح رايس، هذا الأمر أصبح يخيف محمد الشيخ لأنه أصبح متأكدا من إمكانية إعادة حكام الجزائر كرة أبو حسون والتوسع على فاس.[2]

ومن أجل هذا سارع إلى التحالف مع الأسبان والبرتغال، ولما كان هذا التحالف في صالحهم سارعوا إلى الموافقة عليه.

أ- المفاوضات السعدية الأسبانية:

تعود الاتصالات الأول بين الطرفين إلى شهر جوان 1554م، وذلك حينما أرسل محمد الشيخ السعدي إلى الملك البرتغالي خوان الثالث يطلب منه إمداده بقوات عسكرية ليهاجم بها إيالة الجزائر، ولما كان شرط خوان الثالث هو ضرورة إخبار الإمبراطور الأسباني شارلوكان مقابل التحالف،[3] تحولت الاتصالات بين محمد الشيخ السعدي من الجانب البرتغالي إلى الجانب الإسباني، وعليه أرسل محمد الشيخ في جانفي 1555م وزيره المزوار إلى الكونت

[1]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 83.

[2]- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 172.

[3]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 83.

الكوديت الأسباني حاكم وهران الذي عبر له عن استعداده في استقبال الوفد الأسباني للبحث في مفاوضات التحالف بين الطرفين.[1]

ومن أجل هذا أرسل حاكم وهران الكونت الكوديت وفدا إلى محمد الشيخ السعدي والذي وصل إلى مدينة فاس في 15 ماي 1555م. ومن خلال التقرير الذي أرسله حاكم وهران إلى الأمير الأسباني فليب الثاني، يمكن أن نستنتج الأمور التي نوقشت بين الطرفين وهي كالتالي:

- تقديم الأسبان إلى محمد الشيخ عشرة آلاف جندي بالإضافة إلى الأسلحة.
- تكفل إسبانيا بالنفقات ومؤن هذه الجنود.
- بعد الاستيلاء على مدينة الجزائر لن تحصل إسبانيا على الأسرى المسلمين.
- دفع محمد الشيخ ثلاثة مثاقيل من الذهب شهريا إلى الجيش الأسباني.
- طلب محمد الشيخ رهينة متمثلة في ابن حاكم وهران.[2]

ولما كان هذا التحالف يخدم مصالح الأسبان في المنطقة سارع حاكم وهران الكونت الكوديت إلى مراسلة الأمير الأسباني فليب الثاني يشرح أهمية هذا التحالف خاصة إذا تعلق الأمر بالخطر الفرنسي الذي كان يهدد إسبانيا خاصة بعد الامتيازات الممنوحة للملك الفرنسي فرنسوا الأول من قبل سليمان القانوني سنة1535 م، وعليه فإن القضاء على السلطة العثمانية في الجزائر سوف يحد من القوة العثمانية في غربي البحر المتوسط، وبالتالي القضاء على الخطر الفرنسي.[3]

وقد استطاع حاكم وهران إقناع الأمير فليب الثاني الذي أعطى له صلاحيات واسعة لكي يعقد هدنة مع محمد الشيخ والتي كانت فترتها عشرة سنوات وكان ذلك في 09 جويلية

[1]- محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 241.

[2]- أحمد توفيق المدني، حرب 300سنة ، مرجع سابق، ص 361 – 362. **للمزيد أنظر**: الملحق رقم 02

[3]- نفسه ص 364.

1556م،[1] ثم تبعتها معاهدة أخرى في سنة 1557م، وإذا كانت المعاهدة الأولى بهدف التحالف لضرب القوة السياسية للجزائر، فإن المعاهدة الثانية كانت تهدف إلى ضرب الجزائر اقتصاديا وذلك من خلال قضائها على أي تجارة ممكن مع الجزائر سواء المتواجدين داخل الجزائر أو المتواجدين في بادس.

ب- رد فعل الجزائر:

عرفت المفاوضات السعدية الأسبانية الرامية إلى ضرب الجزائر سرية تامة، غير أنها وصلت إلى مسامع صالح رايس الذي سارع إلى توجيه ضرب ضد أعدائه الأسبان والسعديين.[2]

و أول ضرب وجهها صالح رايس كانت ضد الأسبان، ففي شهر جوان 1555م وجه صالح رايس حملة على بجاية بهدف تحريرها من الأسبان، كما كان يهدف من خلال تحرير بجاية إلى حماية ظهره أثناء مواجهة التحالف السعدي الأسباني الذي ما يزال يدرس.

كما كان يهدف أيضا إلى إحباط سير المفاوضات، زد على هذا أن هجومه على الأسبان سوف يضعف من قوتهم المتواجدة في الجزائر، وقد استطاع صالح رايس تحرير مدينة بجاية والقضاء على التواجد الأسباني فيها في سبتمبر 1555م[3].

وبعد تحرير بجاية أصبح أمام صالح رايس موقع آخر للأسبان والمتمثل في وهران المقر الذي انطلق منه التفاوض السعدي الأسباني، ومن أجل الحيلولة دون حدوثه قام صالح رايس بحصار وهران وذلك انطلاقا من شهر ماي 1556م ، غير أنه توفي قبل تحقيق هدفه فخلفه حسن كورصو الذي قام بمحاصرة المدينة، لكنه فشل بسبب قوة الحامية الأسبانية.[4]

---

[1]- محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب ، 1990، ص 91.

[2]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 194.

3- De Grammont, Op, Cit, P81.

4- Diego(de Haedo), Rois d' alger , Op , Cit, P 96 – 97.

كما تزامن حصار مدينة وهران مع حملة أندريا دوريا على الدولة العثمانية، الأمر الذي اضطر بالقوات الجزائرية إلى الانسحاب من الحصار والانضمام إلى القوات العثمانية.[1]

أما بالنسبة لمحمد الشيخ فقد اتبع حاكم الجزائر معه سياسة تهدف إلى إثارة الفتن والشغب داخل دولته، وذلك من أجل انشغاله عن هدفه الرامي إلى ضرب الجزائر.

فقد ثارت العديد من القبائل المغربية ضد سلطة محمد الشيخ الذي أصبح مجبرا على التفرغ لإخمادها.[2]

المطلب الثاني: عودة الصراع على تلمسان وأثره في مقتل محمد الشيخ .

أ - الحملة السعدية على تلمسان:

بعد المحاولات التي قامت بها الجزائر لإحباط التحالف القائم بين الدولة السعدية والأسبان من اجل شل تلك المفاوضات، وبعد فشلها في محاولة استمالة محمد الشيخ السعدي إلى صفها وعدله عن تحالفه مع الأسبان، خاصة وأنها كانت متخوفة من حدوث هذا بسبب المشاكل التي كانت تعيشها والتي أعقبت وفاة صالح رايس،[3] لكن دون جدوى فمحمد الشيخ سرعان ما استغل الاضطرابات التي أصبحت الجزائر تتخبط فيها بسبب انتشار أعمال القتل والنهب في فترة حكم محمد باشا ابن صالح رايس وجهز حملة على تلمسان.[4]

ففي شهر جوان من سنة 1557م أرسل محمد الشيخ حملة على تلمسان استطاع فيها الاستيلاء عليها بعد معارك بين جيش الشريف والحامية الجزائرية.[5]

---

[1] - أحمد توفيق المدني، حرب 300سنة، مرجع سابق، ص 367.

[2]- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 179.

3- Diego(de Haedo), Rois d'Alger,op ,cit,p114.

[4]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 201.

5- Diego(de Haedo) , Rois d' Alger ,op ,cit,p115.

لكن هذه الحملة شهدت غياب التحالف الأسباني السعدي الذي كان يحاك منذ 1555م، فقد راسل السلطان السعدي الأسبان يطلب منهم المدد بالمدفعية، غير أن الأسبان في وهران لم يردوا عليه .[1]

عين محمد الشيخ السعدي بعد الاستيلاء على تلمسان، قائد الحملة سيدي منصور بوغاني ملك على تلمسان، أما بالنسبة للحامية الجزائرية، فإنها اضطرت إلى الاحتماء بقلعة المشور برفقة خمسمائة تركي.[2]

في هذه الفترة عين حسن بين خير الدين بايلرباي على الجزائر الذي سرعان ما وصل إلى الجزائر حتى أعد حملة قصد تحرير تلمسان من يد محمد الشيخ السعدي وتحرير المحاصرين الإنكشاريين في قلعة المشور بتلمسان.[3]

وصل حسن بن خير الدين برفقة ستة آلاف فارس تركي، بالإضافة إلى 16 ألف من قبائل السبايهية[4]،استطاع بايلرباي الجزائر بعد الوصول لتلمسان طرد الجيش المغربي إلى ما وراء نهر ملوية دون إحداث خسائر، حيث لم تقع معارك قوية بين الطرفين، بل كانت هناك مناوشات بينهم[5].

1 – محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 45.

2 – De Grammant, Op, Cit, P87.

3- عزيز سامح الألتر، مرجع سابق، ص 201.

4 – De Grammant, Op, Cit, P87 .

5 - Haedo, Rois D'Alger ,op ,cit,p115.

ب- دور السلطة العثمانية في مقتل محمد الشيخ:

لقد كان لسياسة محمد الشيخ السعدي الرامية للتوسع على حساب الأراضي الجزائرية رافضا بذلك التبعية إلى السلطان العثماني واستهزائه برسالته سببا في مقتله وقد كان لأتراك الجزائر يدا في ذلك.[1]

فبعد تحرير تلمسان فكر حسن بن خير الدين باشا في التخلص من محمد الشيخ السعدي خاصة بعد تأكده من استحالت استمالة محمد الشيخ لصالحهم الذي فضل التحالف مع الأسبان على التبعية للباب العالي ومن أجل هذا أرسل أحد عماله وهو صالح كاهية إلى المغرب الأقصى برفقة أربعين جندي بالإضافة إلى الأموال، وما إن وصل حتى أظهر للشريف استيائه من معاملة بايلرباي الجزائر له وانه يريد خدمته، فقبل بذلك محمد الشيخ وعينه رئيسا لحرسه.[2]

وفي هذه الأثناء ثار ضد محمد الشيخ عرب جبل درنة جنوب سوس وقد اصطحب معه إلى جانب جيشه ألف ومئتين من الأتراك الذين كانوا يشكلون حرسه الخاص.[3]

ولما كان محمد الشيخ منشغلا بإخماد ثورة جبل درنة، حتى استغل هؤلاء الفرصة، ودخلوا عليه خفية فضربوه بشاقور قطعوا بها رأسه عن جسمه وحملوه في عمارة وذهبوا من جهة سجلماسة وكأنهم رسل من تلمسان لكي لاينكشفوا.[4]

لما شاع خبر مقتل محمد الشيخ على يد الأتراك، تجمع الأتراك الموجودين بفاس واقتسموا الأموال وجهدوا أنفسهم لمواجهة الحصار والمضايقات من طرف الموالين للسلطان.[5]

---

[1]- محمد حجي، مرجع سابق، ص 13.

[2]- دي طوريس، مصدر سابق، ص 220.

[3]-مرمول كربخال، مصدر سابق، ج 1، ص 490- 491.

[4]- الافراني، مصدر سابق، ص 42 -43.

[5]- الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 34.

أما الذين أخذوا الرأس، فانتهوا للجزائر ومنها عبروا البحر وتوجهوا للأستانة وأوصلوا الرأس للصدر الأعظم وأدخلوه على السلطان سليمان وأمرهم بجعله في شبكة نحاس وتعليقه على باب القلعة.

ويذكر مجهول صاحب الدولة السعدية في هذه الحادثة فيقول: " .... **ثم أن السلطان عزم على قتل الشيخ صاحب البلاد الذي هو نازل بترابه، ففهم ذلك الشيخ من السلطان ورأى ما صنع بغيره من الأشياخ، فدبر الأمر مع الكاهية صالح وأعمله بالأمور التي تقدمت من قتل القوم الذين أعنوه على الملك فتواعدوا على قتله ... فأتوا باب مضارب السلطان مولاي محمد الشيخ وجعلوا يفتتنون فيما بينهم، وكانوا نحو خمسة عشر رجلا، فقال السلطان للشيخ أخرج إلى هؤلاء الحواتة وأنظر فتنتنهم على أي شيء، فقال له: يا مولانا هذا الرأس الشهر وربما أتوك بسبب الإقامة والمؤونة... فأمر بدخولهم فدخلوا عليه ودنوا منه ليبايعوه، فأخرج الكاهية صالح شاقورا ... ورمى رأس السلطان ...** ".[1]

المطلب الثالث: الاجتياح الثاني على فاس.

بعد وفاة محمد الشيخ السعدي 1557م، بويع إبنه الأمير عبد الله الغالب بفاس وأخذ يجهز نفسه لتنظيم الدولة وتأسيسها وكان أول أهدافه الانتقام من قاتلي والده وإخماد الثورات الداخلية.[2]

فلقد اندلعت ثورات معارضة لسلطته، فقامت ثورة في السوس في فبراير 1558م، إضافة للمذبحة التي قام بها عبد الله الغالب بإخوته الثلاثة بعد رفضهم البيعة واضطروا للهروب لتلمسان.[3]

[1]– مجهول ، تاريخ الدولة السعدية ،مصدرســـابق ،ص31 .

[2]– عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 86.

[3]– علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 245.

إضافة لهذا أصبح السلطان السعدي يطارد الأتراك للانتقام منهم لقتل والدهم، حتى وصل لمشارف تلمسان بعد فرارهم للأراضي الجزائرية.[1]

في هذه الظروف السيئة للمغرب الأقصى من اضطراب وفوضى، قام حاكم الجزائر حسن بن خير الدين بتوجيه حملة ليدخل بها فاس، خاصة بعد التجاء ملك دبدو مولاي عمر للجزائر الذي حثه للسيطرة على المغرب.[2]

وفي عام 1558م تحرك حسن بن خير الدين بحملته المتكونة من جيش كثيف، وصل إلى قرب عمالة فاس.[3]

فخرج له عبد الله الغالب لملاقاته، فالتقيا بمقربة من وادي اللبن من عمالة فاس، فوقعت المعركة الحاسمة بين الطرفين يوم السبت الثاني أفريل 1558م.[4]

كانت الخسارة من نصيب حسن بن خير الدين الذي انسحب لبادس التي كانت تحت سيطرتهم وبهذا لم يتمكن حسن بن خير الدين من وضع أقدامه في فاس وفشل في وضعها تحت النفوذ العثماني.[5]

وبانتصار عبد الله الغالب قضى على إمكانية إحكام العثمانيين سيطرتهم على المغرب الأقصى، إضافة إلى أن خسارة حاكم الجزائر كانت بسبب وصول أنباء عن تحرك الأسبان من مدينة وهران لكي تقطع عنه رجعته، فذهب بجيشه الجزائري إلى مرفأ غصاصة في الشمال المغربي، حيث امتطى صهوة سفنه وحمل مدفعيته وعتاده وعادوا لإيالة الجزائر.[6]

---

[1]- عبد الكريم الفيلالي، مرجع سابق، ص 315.

[2]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 86.

[3]- شوقي عطا الله الجمل،تاريخ المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ج 5، ص 39.

[4]- الافراني، مصدر سابق، ص 50.

[5]- الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 39.

[6]- أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة، مرجع سابق، ص 372.

لقد تبين لحسن بن خير الدين باشا بعد غزوه لفاس ودخوله الأراضي المغربية صعوبة المهمة خاصة بعد جهله لموقعها وأنه لا يستطيع تنفيذ هجمات ناجحة على فاس أو التوغل في مناطقها طالما الأسبان موجودين في وهران، فقرر العمل على طردهم قبل مهاجمة المغرب الأقصى.[1]

المطلب الرابع: رد فعل عبد الله الغالب.

لقد انتهج عبد الله الغالب[2] الذي خلف أبوه محمد الشيخ السعدي نفس سياسة أبيه، خاصة بعدما تأكد أن أتراك الجزائر لم يكتفوا بقتل والده، بل دخلوا حتى فاس مستغلين المشاكل التي آلت إليها الدولة السعدية، وعليه فقد اضطر لإتباع سياسة والده الرامية للتحالف والتقارب من الأسبان لمواجهة إيالة الجزائر.

ويظهر هذا التحالف من خلال مهاجمتهم لمستغانم سنة 1558م، إثر الهزيمة التي تلقاها حسن باشا بن خير الدين.[3]

ومن أجل الحصول على ود الأسبان قام بمنحهم جزيرة بادس، الذين سارعوا إلى احتلالها وكان هدف عبد الله الغالب هو إزالة التواجد العثماني فيها لأنها كانت مصدر خوف وقلق، كما أراد أن يلهي أتراك الجزائر عنه إن هم دخلوا في صراع مع الأسبان حول هذه الجزيرة.[4]

---

[1]- عزيز سامح الألتر، مرجع سابق، ص 204.

[2]- هو إبن محمد الشيخ السعدي بويع له بعد وفاة والده سنة 1557،اتخذ إبن أخيه محمد بن عبد القادر وزيرا له ،تميز عهده بالتقارب القوي لدول غرب أروبا وذلك من اجل الحد من القوة الجزائرية ،**للمزيد أنظر** ،إبن القاضي ، جذوة الاقتباس مصدر سابق ، ج1 ،ص .418.

3- عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص87.

[4]- محمد رزوق،مرجع سابق، ص 93

[5]- نفسه، ص 93.

أما بالنسبة للأسبان فقد أغرتهم الأهمية الإستراتيجية للجزيرة بالإضافة إلى قلقهم من المجاهدين الذين كانوا يقومون بمهاجمة سفنها التجارية. [1]

و يذكر الافراني في النزهة تسليم عبد الله الغالب حصن بادس فيقول: " ... **وذكر بعضهم أن السلطان مولاي عبد الله لما رأى عمارة الجزائر وسفنهم لا ينقطعون عن مرسى حجر بادس ومرسى طنجة وتخوف منهم، اتفق مع الطاغية أن يعطي له حجر بادس ويخليها من المسلمين فتنقطع بذلك مادة الترك في المغرب ولا يجدون سبيلا إليه** ".[2]

ومن أجل تأكيد صداقته وتعاونه للأسبان والبرتغال فك حصاره عن مدينة بريجة سنة 1562م متخليا عنها لصالح البرتغاليين خوفا من مهاجمة أتراك الجزائر له وهو منشغل بمحاصرتها[3].

أما بالنسبة لثورة الموريسكيين[4] فإنه تقاعس على مساعدتهم وذلك راجع لتحالفه مع الأسبان ضد إيالة الجزائر، وفي هذا يقول مجهول صاحب الدولة السعدية: " ... **فأمرهم غشا منه أن يقوموا على النصارى ليثق بهم بفعلهم، فلما قاموا تراخى عما وعدهم به وكذب عليهم غشا لهم ولدين الله تعالى ومصلحة لملكه الزائل، وكانت بينه وبين النصارى مكاتبك...**"

وعليه نتأكد من أن عبد الله الغالب ومن أجل خلق حلف قوي للوقوف في وجه الجزائر، كان عليه التخلي عن مناطق النفوذ في المغرب الأقصى وعن مساندة الأندلسيين.[5]

1- عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص88.

[2]- الافراني، مصدر سابق، ص 49.

[3]- عبد الحق بنيس، "**الدبلوماسية المغربية في فجر العصر الحديث**"، العدد 12، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف الرباط، السنة الأولى، 1958، ص 93،

[4]- هم مسلمين اسبانيا الذين بقوا فيها بعد سقوط الأندلس 1492م، تعرضوا لشتى أنواع العنف والاضطهاد من طرف حكام وملوك اسبانيا، الأمر الذي جعلهم يحضرون للثورة في الأندلس، واستعانوا بأتراك الجزائر والسعديين بالمغرب في 1568. **للمزيد أنظر:** عبد الكريم كريم، مرجع سابق، الهامش رقم 39 ص 93.

[5]- مجهول، تاريخ الدولة السعدية، مصدر سابق، ص 40.

أما القوة الأوروبية الثانية التي تقرب منها عبد الله الغالب فهي فرنسا، وبالرغم من أن هذه الأخيرة كانت على علاقة جيدة مع الدولة العثمانية، لكن يختلف الأمر مع حسن باشا بن خير الدين الذي كان على خلاف مع فرنسا، وعليه فإن عبد الله الغالب تفطن لهذا الخلاف وقام بالتقرب من فرنسا.[1]

ومن خلال الرسالة المؤرخة في جويلية 1559 والتي بعث بها عبد الله الغالب إلى أنطونيو دو بوربون"Antoine de Bourbon"[2] أمير نافارو " Navarre " يتضح لنا أن السلطان المغربي عمل كل جهده للحصول على تلك المساعدات الفرنسية من الأسلحة المتمثلة في المدفعية والأسلحة النارية واليدوية، بالإضافة إلى خمس جندي فرنسا، وفي المقابل يمنح لهم عبد الله الغالب مرسى القصر الصغير من أجل بناء حصن عليه ليتحصنوا به أثناء حروبهم المشتركة، كما ذكر عبد الله الغالب في الرسالة بأنه إن استنجد بهم في حروبه يمدوه بما يحتاجه من قوة في البر والبحر[3] .

[1]- محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 48.

2- هو إبن الامير كارلس باربون إبن الملك الفرنسي هنري السادس ، اصبح دوق على مدينة نافارو من سنة 1518-1562م ، **للمزيد انظر** De Castries , t /1 , Op, Cit , P174.

[3]- Ibid , P 180-181.

المبحث الثاني: ازدياد النفوذ الجزائري في المغرب الأقصى.

المطلب الأول: تدخل الجزائر في الصراع داخل الأسرة السعدية.

أ- استقبال الجزائر الأمراء السعديين اللاجئين:

يعود الصراع حول العرش السعدي إلى عهد توليت عبد الله الغالب الذي قام بقتل أبناء عمه، الأمر الذي أدى بأخوه عبد المؤمن إلى اللجوء إلى الجزائر أين رحب بن حسن بن خير الدين وقام بتزويجه بإحدى بناته، كما التجأ في سنة 1570م عبد الملك وأحمد المنصور الذين فروا من بطش أخيهم.[1]

وبالرغم من أن تواجد الأمراء السعديين في الجزائر كان يهدد أمن فاس، إلاّ أنّ حكام الجزائر لم يستغلوا هذه الفرصة لتدخل مرة أخرى في فاس كما حدث مع أبو حسون، واكتفوا في بداية الأمر بالتدخل سلميا لحل النزاع[2] ويمكن أن نرجع هذا إلى الأسباب التالية:

- تأكد حسن باشا استحالت مهاجمة فاس والنجاح فيها، مادام الأسبان ما يزالون متواجدين في وهران، ولهذا قرر توجيه ضربة للأسبان أولا وكان ذلك سنة 1563م.

- المشاكل الداخلية التي أصبحت تعيشها الجزائر، بسبب تمرد الإنكشارية على حسن بن خير الدين واتهامه بميله إلى الاستقلال عن الخلافة العثمانية.

- انشغال حكام الجزائر بأوامر السلطان سليمان المتمثلة في مساعدته في محاصرة جزيرة مالطة سنة 1565م.

- تحطم الأسطول الجزائري وإلى جانبه العثماني في معركة ليبانتو سنة 1571م.[3]

---

[1]- De Castries, Op, Cit , t / 3, P 179

[2]- الافراني، مصدر سابق، ص 49.

[3]- عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق، ص 217-218.

ويعتبر تقرب عبد الله الغالب ابن محمد الشيخ السعدي من الأسبان للوقوف إلى جانبه في حروبه ضد الجزائر، والذي نتج عنه احتلال الأسبان لجزيرة بادس سنة 1564م، من أهم الأسباب التي وقفت في وجه تدخل الجزائر عسكريا في المغرب الأقصى.[1]

وبعد وفاة عبد الله الغالب في جانفي سنة 1574م، والذي ورثه ابنه محمد المتوكل، عادت مشكلة وراثة العرش السعدي لتطفوا من جديد، وإذا كان تدخل الجزائر في هذه المشكلة في بداية الأمر سلميا، فإن هذه المرة الأمر تغير وأصبح التدخل عسكريا وذلك راجع إل الأسباب التالية:

- انشغال فليب الثاني ملك اسبانيا بثورات الأراضي المنخفضة[2] ضده وبالحروب الدينية القائمة بين الكاثوليك بزعامة فليب الثاني والبروتستانت بزعامة الملكة إليزابيث ملكة انكلترا.[3]

- الانتصار الذي حققته الدولة العثمانية بمساعدة الجزائر و التي كان على رأسها رمضان باشا والمتمثل في فتح تونس سنة 1574م، وبالتالي القضاء على التواجد الأسباني في تونس، الأمر الذي أصبح يسمح للجزائر بالتدخل عسكريا لحل مشكلة وراثة العرش السعدي، لأنها كانت قد حمت ظهرها من الأسبان.[4]

ولهذا سارع رمضان باشا إلى مراسلة السلطان العثماني مراد الثالث من أجل الحصول على دعم وموافقة من أجل التدخل مباشرة في فاس.

---

[1]-عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 237.

[2]- اندلعت في سبعينات القرن 16م، وقد اندلعت بسبب تحول جزء كبير من الأراضي المنخفضة إلى المذهب البروتيستانتي، الأمر الذي جعل فليب الثاني ملك اسبانيا ، يتفعل القضايا على الحركة البروتستانتية التي تلقى تأبيد من قبل الملك إليزابيت، وتعد ثورات الأراضي المنخفضة ضمن الحروب الدينية التي اندلعت في أوربا بين البروتستانت والكاثوليك. **للمزيد أنظر**: عمر عبد العزيز عمر، **التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1992، ص 231-232.

[3]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مرجع سابق ،ج8، ص 42-44.

[4]- عبد الكريم الفيلالي، مرجع سابق ، 322.

غير أن السلطان العثماني اشترط مقابل السماح لرمضان باشا بيلرباي الجزائر تقديم المساعدات لعبد المالك السعدي من أجل استرجاع عرشه مجموعة من الشروط تمثلت فيما يلي:

- الدعوة له على المنابر.

صك السكة باسمه.

التنازل على ميناء العرائش لصالح الجزائر.

التحالف مع حكم الجزائر لمواجهة اسبانيا، كما وعد عبد الملك بعدم التدخل في تلمسان.[1]

ب- الحملة الجزائرية على فاس:

وبعدما اتفق الطرفان (عبد الملك [2] والسلطان مراد الثالث [3]) أرسل هذا الأخير فرمانا إلى رمضان باشا يطلب منه تجهيز جيش لمساعدة عبد الملك السعدي. وفي شهر ديسمبر 1575م انطلقت الحملة الجزائرية على فاس والتي كانت تتكون من سبعة ألاف فارس و800 سبايهي بالإضافة إلى ألف من قبائل زواوة[4].

أما عبد الملك فكان بصحبة ستة آلاف من القبائل المؤيدة له، وفي 15 جانفي 1576م وصل الجيش الجزائري إلى مدينة فاس التي دخلها دون مقاومة ،أما بالنسبة لسلطان السعدي محمد المتوكل فبعد سماعه بخروج الحملة الجزائرية برفقة عمه عبد الملك، سارع إلى تجهيز

---

[1]- عبد الكريم الفيلالي، مرجع سابق، ج 3، ص 322 – 323.

2-هو إبن محمد الشيخ السعدي ، بويع له سنة 1576م ، بعدا إستطاع الاطاحة بحكم إبن أخيه محمد المتوكل ، توفي سنة 1578م، على إثر معركة وادي المحازن ، **للمزيد أنظر** ، أحمد بن القاضي ، جذوة الاقتباس ، مصدر سابق ،ص.442،443

3- هو إبن السلطان سليم الثاني ، السلطان 12من سلاطين بني عثمان ، بويع له سنة 1574م ، في عهده تم فتح تونس حكم مدة 21سنة توفي سنة 1599م ، للمزيد أنظر ، حضرة عزتلو يوسف ، مرجع سابق ، ص69.

4- De Grammant, Op, Cit, P87.

جيشه الذي كان يتكون من ألفين من الزنوج و30 ألف فارس مغربي وثلاثة آلاف فارس أندلسي.[1]

وبعد دخول الجيش الجزائري مدينة فاس التقى الجيشان في مكان بالقرب من مدينة فاس يقال له الركن الذي كان قد هب محمد المتوكل إلى حمايته، وبعد قتال بين الطرفين انتهى الصراع بانتصار عبد الملك برفقة الجيش الجزائري، بينما فرّ محمد المتوكل متوجها إلى مراكش.

ويعود سبب انهزام محمد المتوكل إلى انضمام الأندلسيين إلى جيش رمضان باشا، بالإضافة إلى بعض قادته.[2]

وبعد الانتصار الذي حققه الجيش الجزائري على محمد المتوكل استطاع عبد الملك اعتلاء العرش السعدي، الذي دخل مدينة فاس في 3 مارس 1576م، أين بايعه أهلها[3]، أما بالنسبة لرمضان باشا فقد عاد برفقة جيشه محملا بالغنائم إلى مدينة الجزائر، وقد قام بإعداد تقرير إلى السلطان مراد الثالث يطلعه فيه على الانتصار الذي حققه على محمد المتوكل، كما أمر والي تلمسان ومستغانم لأخذ الحذر والتفطن والاستعداد لأي خطر محتمل.[4]

أما بالنسبة للأسبان فقد ظلوا يراقبون كل مايجري بالمغرب الأقصى من أحداث ومن خلال إحدى الرسائل المؤرخة في 24 مارس 1576م، يظهر لنا أن الأسبان كانوا على علم أن عبد الملك السعدي قد حصل على دعم كبير من قبل رمضان باشا، الذي اتجه إلى فاس من أجل انتزاع العرش السعدي من محمد المتوكل، الأمر الذي أصبح يخيف الأسبان. [5]

---

[1]- Haedo, Rois d' Alger, Op ; Cit, P 115.

[2]- مجهول، تاريخ الدولة السعدية، مصدر ،سابق، ص47.

[3]- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير، مرجع سابق، ص175.

[4]-عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 249 – 250.

[5]- De Castries, Op, Cit, T / 1, P 160.

المطلب الثاني: علاقة عبد الملك مع حكام الجزائر

أ- تعكر العلاقات.

بعد الانتصار الذي حققه عبد الملك السعدي وبمساعدة حكام الجزائر سنة 1576م على ابن أخيه محمد المتوكل، استطاع اعتلاء العرش السعدي ، وقد ساهمت هذه الأحداث في تحسن العلاقات الجزائرية المغربية التي شهدت نوعا من الهدوء فقد عمل عبد الملك ومنذ توليه السلطة على العمل على التردد ومكافأة حكام الجزائر كعربون على الشكر.[1]

فبعدما حقق انتصاره على ابن أخيه الذي فر إلى مراكش سارع عبد الملك على مكافأة الجيش الجزائري الذي حصل على مكافأة قدرت بأربعة مائه أوقية بالإضافة إلى عشرة مدافع من الحجم الكبير.[2]

كما عرفت هذه الفترة من العلاقات الجزائرية-المغربية توافد العديد من السفن الجزائرية على الموانئ المغربية وأهمها ميناء العرائش و تيطوان، وهذا يؤكد لنا أن عبد الملك بعد انتصاره

عمل على تحقيق شروط السلطان العثماني مقابل حصوله على مساعدة من قبل أتراك الجزائر خشية منه من حدوث اصطدام معهم هو في غنى عنه.[3]

ولقد كان لهذه المساعدات دور كبير في ازدياد النفوذ الجزائري في المغرب الأقصى ويظهر ذلك من خلال تدخل رمضان باشا لدى السلطان عبد الملك لإقناعه بإطلاق سراح الأسرى

[1] -عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 101.

[3]- الافراني، مصدر سابق، ص 63.

[4]- De Castries, Op, Cit, T / 3, P 258.

الفرنسيين المتواجدين في فاس ومراكش، بناءا على طلب السفير الفرنسي الذي وصل إلى الجزائر في مارس 1577م وطلب من رمضان باشا التدخل لإقتداء الأسرى.[1]

غير أن الأمر تغير،حيث أصبحت العلاقات الجزائرية – المغربية تعيش نوعا من التعكر خاصة في ظل مواصلة الصراع بين عبد المالك وابن أخيه محمد المتوكل، الأمر الذي جعل أتراك الجزائر وعلى رأسهم رمضان باشا يحاولون التدخل من جديد في المغرب الأقصى، وإن كان تدخلهم في البداية من أجل دعم عبد المالك، فهذه المرة كان بهدف التوسع.[2]

لكن هناك سبب دفع حكام الجزائر إلى القيام بهذا الأمر، والمتمثل في عدم تسليم عبد الملك ميناء العرائش للجزائر واكتفى بالسماح لهم بالرسو في مينائه، الأمر الذي أجبر رمضان باشا على الاحتفاظ بالأمير إسماعيل وأمه كرهينة في الجزائر، بل تطور الأمر إلى قيام رمضان باشا بالهجوم على بعض القبائل التابعة إلى مملكة فاس،[3] كما أدى هذا الأمر إلى خروج عدد كبير من الجنود الجزائريين الذين كانوا التحقوا بجيش عبد الملك على اثر حملة رمضان باشا على فاس سنة 1576م على طاعة عبد الملك وانضمامه إلى جيش ابن أخيه محمد المتوكل حيث شاركوا إلى جانبه في معركة تينزرت ومعركة أساطس .[4]

وأمام هذه الأوضاع التي أصبحت تشهدها العلاقات الجزائرية – المغربية والتي أصبح احتمال الاصطدام بينهم كبير، سارع عبد الملك إلى مراسلة السلطان العثماني مراد الثالث يطلعه على تصرفات رمضان باشا اتجاه مملكته، ولما كانت تربطه علاقة جيدة مع عبد المالك، قام السلطان العثماني بعزل رمضان باشا واستبداله بحسن باشا فنزويلو الذي أمره بحسن المعاملة مع عبد الملك السلطان السعدي، والاتفاق معه ضد القوى المسيحية، كما أرسل

1- De Castries ,op ,cit, T / 1, P 352.

2- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 101.

3- نفسه، ص 102.

4- الفشتالي، مصدر سابق، ص 34.

مراد الثالث رسالة إلى عبد الملك يطلعه على ذلك الإجراء فقد ورد في الرسالة المؤرخة في9 جويلية1577

ما يلي: " ... **فلما أل الحال إلى هذا الحال وجب عليكم وعلى كل من كان لديكم أن يجتهد في تشييد مباني الإخلاص ومعاقد الإخلاص ويعامل مع أمير الأمراء الكرام حسن باشا...الذي قلدناه ولاية الجزائر الغرب...**".

وفي رسالة أخرى يدعوه إلى حسن الاتفاق مع حسن باشا فيقول السلطان مراد الثالث: " **وتتفقوا أحسن الاتفاق والإتحاد مع أمير الكرام حسن باشا دام إقباله الوالي يومئذ بولاية الجزائر الغرب وتدفعوا مضرة الأعداء وليد الكفرة...**".[1]

ب– تحسن العلاقات:

شهدت هذه الفترة من حكم حسن فينزيلو باشا الذي أصبح بايلرباي على الجزائر ابتداء من سنة 1577م، ميل العلاقات الجزائرية المغربية إلى التحسن خاصة بعد الأوامر التي كان قد تلقاها من قبل السلطان مراد الثالث الذي أمره بعدم التدخل عسكريا في المغرب الأقصى.[2]

ولما كان عبد الملك يحظى بمكانة جيدة لدى السلطان مراد الثالث سارع حسن باشا إلى إرسال وفد إلى مراكش في نوفمبر 1577م، مستغلا فرصة تحسن العلاقات بين الطرفين وطلب من السلطان السعدي عبد الملك بالتدخل لدى السلطان مراد الثالث الذي كان بصدد عقد هدنة مع اسبانيا التي كانت ما تزال محتلة مدينة وهران ،لإقناعه بعدم عقد هذه الهدنة خاصة وأن اسبانيا

كانت تعيش ظروف صعبة بسبب انشغالها بحروب الأراضي المنخفضة، كما طلب منه إقناع السلطان أن يرسل علج علي على رأس الأسطول العثماني لتحرير مدينة وهران.[3]

---

[1]– عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي ،مرجع سابق ج8، ص 44 – 45.

[2]–عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 251.

[3]– De Castries, Op, Cit, T / 3, P 258.

لكن عبد الملك رفض التدخل لصالح إيالة الجزائر ضد اسبانيا وذلك راجع إلى المفاوضات التي دخل فيها مع الملك الاسباني فليب الثاني منذ شهر أفريل 1577م، والتي أبدا فيها عبد الملك استعداده لإقرار السلم بينه وبين اسبانيا كما فتح باب حرية التجارة مع الأسبان وتعهد للملك فليب الثاني بعدم التدخل في المشاكل الاسبانية الانجليزية. [1]

لكن بالرغم من رفضه التدخل لدى السلطان مراد الثالث وإقناعه بعدم الموافقة على مهادنة الأسبان،إلا أنه عمل جاهدا على تقديم الكثير من المساعدات إلى الجزائر أثناء محاولاتها تحرير وهران.

ويمكن أن نفسر لجوء عبد الملك إلى إرضاء الطرف الاسباني مع المحافظة على تحالفه مع الجزائر إلى تلك المشاكل التي كانت تواجهه والمتمثلة في استمرار ثورة ابن أخيه محمد المتوكل الذي كان قد التجأ إلى جزيرة بادس سنة 1576م، وطلبه المساعدة من فليب الثاني لاسترجاع عرشه، الأمر الذي جعل عبد الملك يعقد هدنة مع الأسبان سنة 1577م.[2]

المطلب الثالث: دور الجزائر في معركة وادي المخازن.

تعتبر معركة وادي المخازن جهاد ضد الغزو الأجنبي وحلفائه في التراب المغربي، فقد كانت معركة إسلامية، نصرانية بين محمدالمتوكل المهزوم وحلفائه البرتغال بقيادة سبستيان، في حين الطرف الحامي لبلده عبد الملك السلطان المغربي المدعوم بالأتراك الجزائريين.[3]

[1]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 101.

[2]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، مرجع سابق ،ج8،ص 139.

[3]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 105.

لقد عبر الباب العالي و الجزائر عن مساندتهم لعبد الملك السعدي في المعركة بعدد من الجنود،[1] كما يظهر تواجد الأتراك في المغرب من خلال زيادة نفوذهم في المغرب والحصول على مكانة راقية لهم بين الحاشية الملكية.[2]

كما أظهرت الجزائر استعدادها ببعث أسطول جزائري قوي للمشاركة في المعركة لصالح عبد الملك، وقبل أن يثبت إرسال الأسطول للشواطئ المغربية، كان علج علي قد أرسل سفير إلى عبد الملك السعدي الذي كان مقيم بتطوان، وقد عبر السفير على استعداد علج علي على إرسال 150 سفينة. بالإضافة إلى أربعة آلاف أو خمسة آلاف جندي جزائري للمشاركة في معركة وادي المخازن وكان هذا في ماي 1578م[3].

وفي 20 جويلية جهز حسن فينزويلو أسطول مكون من 15 سفينة من نوع الغيلوطة، واتجه بها إلى الشواطئ الشمالية للمغرب الأقصى، والتي وصل إليها في 30 جويلية 1578م، وكان هدفه من هذا الإجراء هو مراقبة الشواطئ المغربية من أي تدخل اسباني لجانب محمد المتوكل والملك البرتغالي الدون سيبستيان أثناء اندلاع المعركة، والتي اندلعت فعلا في 04 أوت1578م، وبقي الأسطول الجزائري بقيادة حسن فينزويلو هناك لحين نهاية المعركة ليتأكد من انتصار عبد الملك وحماية جهته الشمالية من أي هجوم مفاجئ.[4]

كما يظهر دور الجزائر في الجيش المشارك في المعركة في ترتيب الفرق، فقد شهد أوائل الفرق للجزائريين الأتراك، فالفرقة الأولى تكونت من الأعلاج والأتراك الذين استقدمهم مع الجيش الذي استأجره من الجزائر قبل ثلاث سنوات، والذين فضلوا البقاء في المغرب، ولعبوا

---

[1]- خالد فؤاد طحطح، **العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن 16م – أواخر القرن 18م** ، دورية كان التاريخية العدد14، الكويت ، 2011ص 107.

[2]- أحمد سالم علي، مرجع سابق، ص 52.

[3]- De Castries, Op, Cit, T /3, P403.

[4]- Haido, Rois d'Alger, Op, Cit, P 176.

دورا هاما في ترجيح كفة المعركة لصالح السلطان المغربي عبد المالك وضمان انتصاره على الغزو الأجنبي.[1] وكانت القوة الجزائرية التي حاربت في معركة وادي المخازن بجانب المغاربة

تتكون من ستة ألاف من رماة النار وألف من قبائل الزواوة و ثمانمائة فارس أثنى عشرة مدفعا، بعث بهم باشا الجزائر كقوات نظامية لصالح الملك السعدي لصد الغزو البرتغالي.[2]

المطلب الرابع: محاولة التخلص من النفوذ الجزائري.

أ - أسباب عودة الصراع:

لقد كان من بين نتائج معركة وادي المخازن التي كانت في 4 أوت 1578م مبايعة أحمد المنصور سلطانا على المغرب الأقصى.

وقد اتبع أحمد المنصور ومنذ توليه الحكم على إتباع سياسة تهدف إلى التخلص من النفوذ الجزائري، الذي كان يرى فيه المهدد الحقيقي لاستقرار سلطته،[3] غير أنه تريث في بداية الأمر قبل القيام بهذه الخطوة، فنراه يراسل السلطان العثماني مراد الثالث يبشره بالنصر الذي حققه كما بعث سفارة إلى الجزائر وإلى ابن أخيه الأمير إسماعيل ابن عبد الملك من أجل تأكيد ولائه لهم.[4]

ويمكن أن نرجع الأسباب التي أدت بأحمد المنصور إلى إتباع هذه السياسة التي تهدف إلى التخلص من النفوذ الجزائري، والتي كانت سببا في فتح باب الصراع من جديد في العلاقات الجزائرية المغربية إلى ما يلي:

---

[1]- عبد الكريم الفيلالي، مرجع سابق، ج 3، ص 345.

[2]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 105.

[3]- عبد المجيد بن خلدون، "**بعد المعركة**"، مجلة المناهل، العدد 13، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ديسمبر 1978، ص 223.

[4]- عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي**، ج 8، المرجع السابق، ص 47-48.

- اتهام أحمد المنصور حكام الجزائر بالتحالف مع ابن أخيه الأمير إسماعيل بن عبد الملك الذي كان ما يزال مقيما بالجزائر وكان يحظى بتأييد كبير من قبل حكام الجزائر.[1]

- المراسلات التي جمعت رمضان باشا بيلرباي الجزائر مع الأمير داود بن عبد المؤمن الذي أبدى فيها رمضان باشا استعداده لتقديم المساعدات العسكرية لثورة الأمير داود ضد عمه المنصور والتي اندلعت سنة 1579م، واستمرت إلى غاية سنة 1580م.[2]

- اتهام المنصور حكام الجزائر بالتأمر مع سعيد الدغالي قائد الجيش الأندلسي لدى أحمد المنصور، الذي ثار ضد أحمد المنصور في بلاد السوس، والذي كان سببا في استمرار الفتن الداخلية في المغرب الأقصى.[3]

ب- اندلاع الصراع ولجوء أحمد المنصور لتحالف مع الأسبان:

لقد كان لتصرفات أحمد المنصور اتجاه حكام الجزائر وسعيه في التخلص منهم بكل الوسائل بالإضافة إلى سعيه إلى التخلص من ولائه إلى السلطان العثماني مراد الثالث ورفضه تسليم ميناء العرائش الذي كانت قد طالبت به إيالة الجزائر من عبد الملك و تقاعسه عن تسليمه، إلى إعلان حكام الجزائر الحرب من جديد على أحمد المنصور، خاصة أمام عجزهم على اجتياح المغرب عن طريق التدخل لنصرة الأمراء السعديين الخارجين عن طاعة أحمد المنصور.[4]

ففي سنة 1581م جهز علج علي وبمساعدة حسن باشا الذي كان قد عاد إلى ولاية الجزائر حملة على المغرب الأقصى ، والتي وصلت إلى مدينة الجزائر في شهر جوان1581م .

---

[1]- الفشتالي، المصدر السابق، ص 27.

[2]- أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور ، مصدر سابق، ص 181-182.

[3]- الفشتالي، مصدر سابق، ص 43.

[4]- محمد جادور، "**دبلوماسية أحمد المنصور السعدي من خلال تقاييد أسير برتغالي** " ، مجلة المؤرخ، العدد 4، جمعية ليو الإفريقي، المغرب، أوت، 2009، ص 05.

وأمام هذه الأوضاع التي أصبحت تهدد أحمد المنصور، سارع هذا الأخير إلى إرسال سفارة إلى السلطان العثماني مراد الثالث يجدد فيها ولائه لسلطان العثماني و يطلب منه التدخل لإيقاف حملة علج علي على فاس .

ولما كان أحمد المنصور يحظى بمكانة لدى السلطان العثماني، قام هذا الأخير بأمر علج علي وحسن باشا بالعدول عن الإغارة على فاس.[1]

وقد استطاع أحمد المنصور الوصول إلى هدفه والقضاء على تلك الحملة قبل وصولها إلى مملكته، فقد راسله حسن باشا يعتذر له عن تصرفه، وقد تم الصلح بينه وبين أحمد المنصور الذي راسل علج علي يطلب منه الصلح.[2]

غير أن أحمد المنصور لم يطمئن لذلك الصلح، وعليه لجأ إلى التحالف مع الأسبان سالكا بذلك سياسة والده محمد الشيخ السعدي من أجل ضرب القوة الجزائرية.

وقد كانت اسبانيا ومنذ تولي أحمد المنصور العرش السعدي تهدف إلى عقد هدنة مع المغرب الأقصى، تمكنها من الحصول على ميناء العرائش الذي كانت تطمع في الحصول عليه منذ عهد عبد الله الغالب، وعليه أرسلت اسبانيا سفير إلى مراكش الذي قابل أحمد المنصور وأبدى له استعداد الملك فليب الثاني في منحه مساعدات ضد إيالة الجزائر مقابل التنازل عن ميناء العرائش.

وعلى هذا الأساس، فعلى إثر حملة علج علي على فاس سنة 1581م، أرسل الملك فليب الثاني أسطول مكون من تسعين سفينة التي أجبرت علج علي على التراجع عن حملته ضد مدينة فاس.[3]

---

[1]- الفشتالي،مصدر سابق، ص 62 – 63.

[2]– عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي ، مرجع سابق،ج8، ص 52. **للمزيد أنظر** الملحق رقم05.

[3]– محمد جادور، مرجع سابق، ص 05.

وقد دفع هذا التحالف الذي أصبح يحيكه أحمد المنصور ضد إيالة الجزائر إلى قيامه بحملة على منطقة فجيج الواقعة جنوب تلمسان والتي كانت تابعة إلى الجزائر، حيث قتل حاكمها التابع إلى حكام الجزائر، الأمر الذي إحتج عليه حسن باشا وكاد يؤدي إلى اصطدام آخر بين البلدين، غير أن حسن باشا عدل عن هذا وفضل مراسلة السلطان مراد الثالث يطلعه عن الأمر،و كان ذلك في سنة 1584م.[1]

ج- تحسن العلاقات:

قد استمرت العلاقات الجزائرية المغربية مع نهاية فترة البايلرباي بين مد وجزر، لكن كان لوفاة علج علي سنة 1587م، أثر كبير في تراجع دور الجزائر الريادي خاصة إذا تعلق الأمر بدوره البحري الذي لعبه علج علي منذ توليه مصب البايلرباي سنة 1568م ، كما كان لوفاته أثر على الإدارة العثمانية في الجزائر، حيث قسمت إدارتها إلى ثلاث ولايات وهي الجزائر تونس وطرابلس الغرب، ولقد نتج هذا التقسيم ضعف كبير للجزائر التي أصبحت تخشى تحالف أحمد المنصور مع هاته الايالات، الأمر الذي دفع حاكم الجزائر الجديد إلى إتباع سياسة مفادها محاولة تحسين علاقتها مع أحمد المنصور خاصة في ظل المحادثات التي كان يحيكها أحمد المنصور مع فليب الثاني حول إعداد مشروع لضرب إيالة الجزائر.[2]

كما شهدت سنة 1587م استدعاء حسن فينزيانو الذي كان بايلرباي على الجزائر منذ سنة 1584م إلى الاستانة والذي تولى منصب قبطان باشا، وقد تلت فترة حكمه اضطرابات كبيرة بسبب كثرة استبدال الولاة ، أما بالنسبة لأحمد المنصور فقد أدت الأوضاع السياسية الصعبة التي أصبحت تعيشها الجزائر إلى محاولة تخلصه من المفاوضات التي كانت قائمة بينه وبين الأسبان كل هذه الظروف ساهمت في تحسين العلاقات الجزائرية المغربية.[3]

---

[1]-عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 265.

[2]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 124

[3]- نفسه، ص125

خاتمة :

تميزت العلاقات الجزائرية في هذه المرحلة (1554-1587م) من مراحل العلاقات بين البلدين بظهور أطراف جديدة لعبت دور كبير في بلورة تلك العلاقات ،ومن أبرز تلك الأطراف إسبانيا وإنجلترا ، فقد كان لتحالف الذي خلقه محمد الشيخ مع إسبانيا والذي عمل خلفائه على إحيائه أثر كبير في تأجيج الصراع بين البلدين ، كما عرفت هذه المرحلة تطور العلاقات بين الطرفين إلى حد التحالف مع حكام الجزائر من اجل العرش السعدي.

الخـــــــــــــــــاتمة

قائـــــــــــــــمة

المـــــــــــــلاحق

الملحق رقم 01.

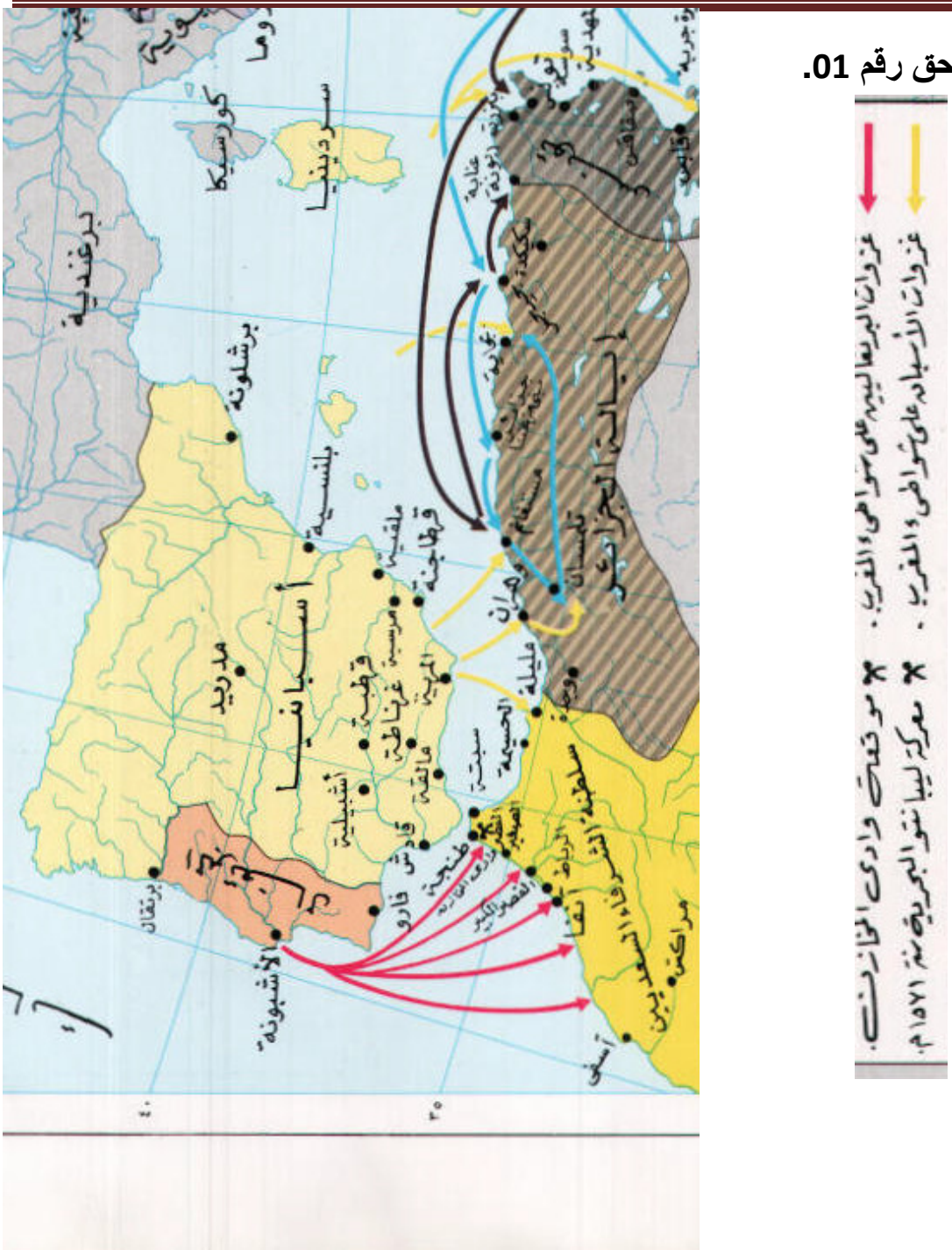

خريطة تمثل التنافس الاسباني البرتغالي حول مناطق النفوذ في المغرب الإسلامي مع مطلع القرن 16م.[1]

1-حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص349.

الملحق رقم 02 .

"..... أبحرت سفينتنا من مرسى مالقة في 22افريل ،وفي 29أفريل دخلنا مرسى سبته وفي يوم أول ماي وصلنا إلى تيطوان أين التقينا بالأمير السعدي عبد الله.

وعندما وصلنا إلى مدينة فاس التقتا بالشريف السعدي يوم الأربعاء 15ماي الذي كان برفقة القائد المنصور وكاتبه بوشميدة.....وبعدما سلمنا الرسائل التي ترجمها المترجم طلب منا الشريف إن نقول شفويا ما هي المهمة التي جئنا بها إلى فاس ،فأجبته بان مهمتنا قد شرحت في الرسائل وأننا جئنا استجابتا لطلب الأمير عبد الله والقائد المنصور وذلك من اجل التفاوض في قضية الجزائر .

فأجابنا الشريف بأنه لا يزال عند فكره وانه يريد طرد الأتراك من الجزائر فهو يطلب من الإمبراطور إمداده بعشرة ألاف من المقاتلين وانه يرى من المناسب إن يقوم الإمبراطور بكل ما يلزم لهؤلاء الرجال من نفقات وذلك لطرد الأتراك إنما عمل تستفيد منه ممالك جلالة الإمبراطور ،أما بخصوص مدينة الجزائر فقد ذكر الشريف انه من الأفضل تحطيمها وإزالتها تماما أما أهلها فلا يؤخذوا أسرى من قبل المسيحيين ..... ولما كانت هذه المفاوضات ذات أهمية كبيرة والتي يخال لي أن الله هو الذي أدارها بنفسه ،يجب أن نعتبر أنفسنا سعداء جدا ،ففي الوقت الذي يبذل فيه ملك فرنسا جهده للحصول على أسطول السلطان العثماني كي يهاجم مملكتنا ،أن يعرض علينا ملك عربي ذو نفوذ كبير كالشريف مهاجمة أتراك الجزائر ،وبما أن هذه العملية ستجر لنا خيرا عظيما فانا أرى من الضروري الموافق على طلب الشريف السعدي...".

تقرير الكونت الكوديت حاكم وهران إلى الأمير فليب حول المفاوضات السعدية الاسبانية المؤرخ في 22جويلية 1555 .[1]

1-أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المرجع السابق،ص362،وما بعدها.

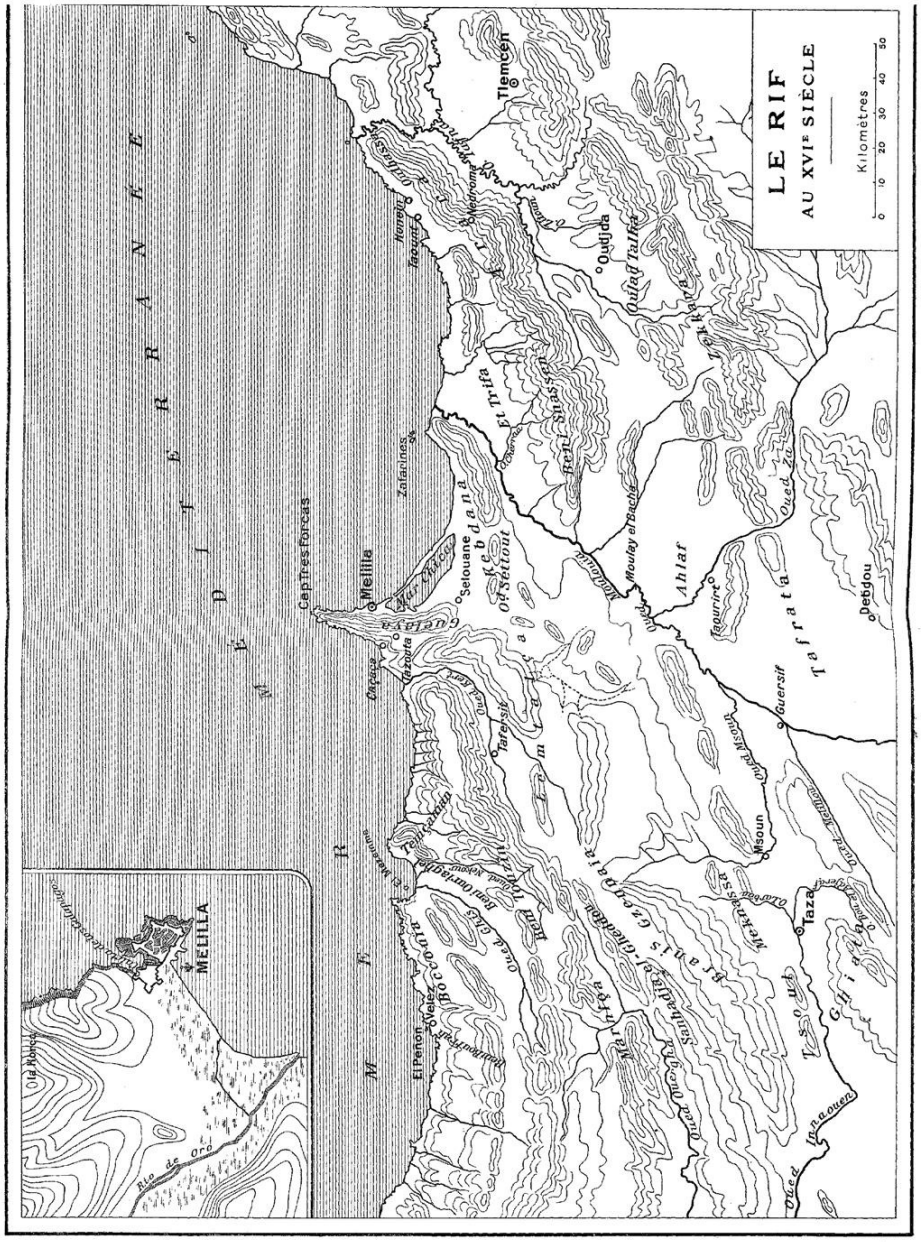

خريطة توضح الحدود السياسية بين الجزائر والمغرب الاقصى سنة 1553م.

1- De Castries, op.cit,T1 ,p137.

الملحق رقم04 :

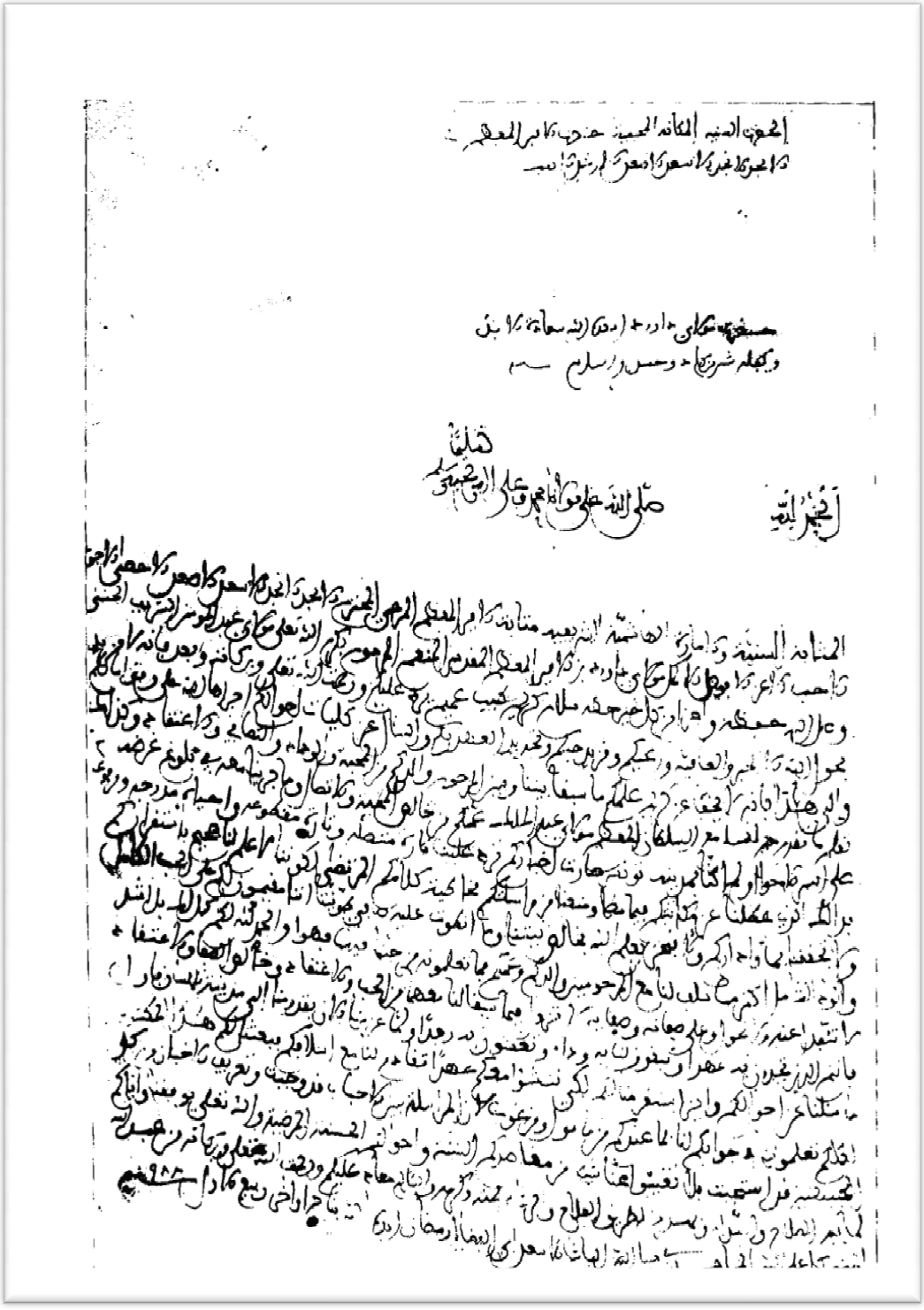

رسالة رمضان باشا إلى الأمير داود بن عبد المؤمن السعدي سنة 1579م. [1]

1-عبد الكريم كريم ، المرجع السابق،ص352

ملحق رقم 05.

" .....فإنا كتبنا إليكم كتب الله لكم من صالح الأعمال ما تحمد عاقبته في المآب وسني لكم من المساعي الجميلة ما يؤكد حظوتكم بذلك الجناب من حضرتنا العلية ومجمع عساكرنا العلوية فاس حرسها الله .

هذا ودرر ودكم كانت تقذفها إلينا على البعد أمواج البحار وعرف ولائكم مازالت تهديه للقلوب على شحط الدار .....وعقائد إخلاصكم بلسان الاشتهار هنا وهناك في القديم في القديم تتلى وعقائد مصفاتكم على منصات الوفاء تجلى والاعتقاد الجميل بجنابكم صار لن قبل دأبا وديدنا،وعلى دعائمه الثوابت كنا أسسنا عهدنا والاجهار بموالاتكم كان أمره مستفيضا. .....إلى أن ورد خبر التحرك الذي كان لكم لهذه الناحية .....ومازلنا نحن نستغرب لشنآنكم ذلك داعيه وسببه .....فعندما قرر لنا عنكم هذا النبأ المتاول والعذر الواضح زال عن النفوس ذالك الامتعاض واستحالت إلى المحبة القديمة الجواهر والأعراض وبقي الود في الله إذ ذاك مصون المروءة والأعراض، فأنهينا إليكم خطابنا هذا صحبة رسولينا الموجهين إلتكم الأبواب العثمانية ..."

رسالة السلطان احمد المنصور السعدي إلى علج علي قائد الأسطول العثماني المؤرخة في 1581.[1]

1-عبد الله كنون ،رسائل سعدية ،دار الطباعة المغربية ،تيطوان ،1954،المغرب ،ص68،وما بعدها

من خلال تتبعنا لمسار العلاقات الجزائرية – المغربية طيلة فترة البايلربايات 1519-1587م يتضح لنا أن تلك العلاقات اتصفت بالمد والجزر في مسارها ، وذلك راجع إلى تأثرها بمجموعة من العوامل والإطراف ساهمت إلى حد كبير في صياغتها .

-لعبت الأوضاع السياسية التي أصبحت تعيشها المنطقة دورا كبيرا في بلورة العلاقات الجزائرية – الغربية ، ففي بداية مرحلة البايلربايات اتسمت بنوع من الهدوء عكس ماكانت تشهده في الفترة التي سبقت هذا العهد (أي بين الزيانيين و المرينين) ، وذلك راجع إلى المشاكل التي أصبحت تمر بها كل من الجزائر والمغرب الأقصى في ظل التدخل الاسباني والبرتغالي إضافة إلى انشغال كل طرف بحل مشاكله حتى يضمن استقرار سلطته .

– تغير مسار العلاقات الجزائرية – المغربية بتغير الظروف المتحكمة في بلورتها ، فبعدما كان كل طرف وخاصة بايلربايات الجزائر والسعديين منشغلين في تثبيت سلطتهم ، الآن أصبحوا يسعون إلى التوسع على حساب الأخر ، خاصة السعديين الذين كانوا يرون أنفسهم أحق بخلافة الدولة الموحدية من العثمانيين ، وبالتالي كانوا يدعون أنهم أحق بحكم الجزائر من الأتراك .

– لقد كان للقوى الضعيفة دور آخر في العلاقات الجزائرية– المغربية خاصة إذا تعلق الأمر في نشوب الصراع بين البلدين ، فكثيراً ما كانت تلك الحروب التي نشبت بين السعديين و حكام الجزائر سببها الزيانيين والوطاسيين ، وهدفهم من هذا هو كسب أكبر وقت ممكن للبقاء في السلطة .

– صراع الأهداف الذي كان العامل الأساسي في بروز النزاع بين القوتين (البايلربات السعديين) فكل قوة كانت تهدف إلى توسيع نفوذها على حساب الأخرى ، وبالتالي الهيمنة على منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

– ظهور طرفين آخرين في المرحلة الثانية 1554-1587م ، ساهموا إلى حد كبير في بلورة العلاقات ، والمتمثل في الدولة العثمانية التي كانت الجزائر إحدى إيصالاتها ، فنلاحظ أنه عندما كان هدف الدولة العثمانية التوسع وضم كامل شمال إفريقيا ، كانت العلاقات بين البلدين

تشهد نوعا من الحساسية ، وذلك راجع إلى أن بايلربايات الجزائر كانوا على استعداد تام من أجل تحقيق أهداف الدولة العثمانية حتى ولو دخلوا في صراع مع القوى المجاورة ، غير أن الأمر أختلف مع تراجع أهداف الدولة العثمانية في التوسع نوعا ما ، حيث شهدت العلاقات تحسن ملحوظ .

أما الطرف الأخر فهو إسبانيا التي كانت تسعى إلى ضرب القوتين ببعضهما ، وتأجيج الصراع بين الطرفين ، وذلك حتى تضمن عدم إمكانية حدوث أي تحالف إسلامي من الممكن أن يهدد وجودها في المنطقة ، وبالتالي ضمان استقرار مكانتها في منطقة شمال إفريقيا وغربي البحر الأبيض المتوسط ، أو بالأحرى القضاء على إمكانية أي محاولة لاسترداد الأندلس .

-ساهمت العلاقات المتباينة بين البلدين إلى سعي كل طرف منها إلى تقويت علاقاتها الخارجية وخاصة الدولة السعدية التي كانت تعي مدى القوة الجزائرية ، وعليه حاولت ربط علاقات سوء كانت سياسية أو اقتصادية مع القوى الأوروبية من أجل ضرب القوة الجزائرية .

- كانت للعلاقات الجزائرية – المغربية سواء في شقها الحسن أو العدائي تأثير على الأوضاع السياسية للبلدين ، وخاصة المغرب الأقصى الذي شهد تدخل الجزائر في تعيين سلاطينها كما تأثر الوضع الاجتماعي لهذا الأخير ويظهر ذلك من خلال وجود العنصر التركي في الجيش المغربي الذي كان من مخلفات التدخل الجزائري فيها .

- لقد كانت الجزائر في هذه الفترة هي المتحكم الوحيد في مسار هذه العلاقات ، بحكم أنها كانت دار الجهاد وبوابة شمال إفريقيا ، فنلاحظ أن حتى مع تراجع أهدافها في التوسع مع نهاية الفترة إلا أنها كانت السباقة لعقد التحالفات السلمية لضمان استقرار المنطقة .

أولا– المصادر

1-المصادر باللغة العربية والمعربة.

1-الافراني محمد الصغير المراكشي ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ،(تصحيح هوديس) مطبعة انجي باريس 1888.

2- ابن القاضي احمد المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** دار منصور للطباعة والوراقة الرباط،1973.(ج1)

3 -_____ **درة الحجال في أسماء الرجال** ،(تح محمد الأحمدي أبو النور)،ط1،دار التراث،المغرب،1971.(ج1،2)

4 -_____ **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**،(دراسة وتح محمد رزوق)،ط1،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،المغرب 1986.

5 -ابن عسكر محمد الحسيني ،**دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**،(تح محمد حجي)، الرباط ،1977.

6- ابن غازي أبو عبد الله بن محمد ،**الروض الهتون في أخبار مكناس الزيتون**(،تح عبد الوهاب بن منصور) ط2،المطبعة الملكية ،الرباط،1988.

7- ابن مريم التلمساني ،**البستان في ذكر أولياء والعلماء بتلمسان** ،(راجعه محمد بن أبي شنب) المطبعة الثعالبية الجزائر ،1908.

8 – دي طوريس دييقو ،**تاريخ الشرفاء** ،(تر محمد حجي ،محمد الأخضر)،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ،الرباط ،1988.

9-الفشتالي ، **مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا** ، (درا وتح عبد الكريم كريم) ،ط1،وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الرباط ، 1972.

10 – شوفاليه كورين ،**الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**،(تر جمال حمادنة) ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1991.

11- العباس بن إبراهيم السملالي ،**الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام** ،(تق عبد الوهاب ابن منصور) ط3،المطبعة الملكية ،الرباط ،1993.(ج1،ج5)

12 - الكتاني محمد جعفر ،**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ،ط1،تح محمد حمزة بن علي الكتاني وآخرون ،دار الثقافة ،الدار البيضاء 2004.

13- الكراسي محمد ،**عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل**،ط1،المطبعة الملكية الرباط ،1963.

14 - كربخال مرمول ،**إفريقيا** ،(تر محمد حجي وآخرون) ،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ،مكتبة المعارف لنشر والتوزيع ،1984.(ج1-ج2).

15 - الزياني أبو القاسم ،**تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب** ،(تق وتح رشيد الزاوية)،ط1،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ، 2008.

16- مؤلف مجهول، **مذكرات خير الدين بربروس**،(تر محمد دراج)،ط1،شركة الأصالة لنشر والتوزيع الجزائر 2010 .

17 - مؤلف مجهول ،**تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ،(تق وتح عبد الرحيم بن حادة) ،دار تينمل للطباعة والنشر مراكش ،1994.

18 -الناصري أبو العباس أحمد ،**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،(تح جعفر الناصري محمد الناصري) دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1997،(ج4،ج5)

19- الوزان الحسن ،**وصف أفريقيا** ،(تر محمد حجي ،محمد الأخضر) ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،لبنان 1983

ثانيا : المراجع

2 – المراجع باللغة العربية والمعربة.

20– أحمد ياغي إسماعيل ،**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ،ط1،مكتبة العبيكات الرياض ،1995

21– ألتر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ،تر محمد علي عامر ط1،دار النهضة العربية بيروت ،1989.

22– بن منصور عبد الوهاب ،**أعلام المغرب العربي** ،ط1،المطبعة الملكية ،الرباط ،1979.

23– التازي عبد الهادي ،**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية مصر ،1988،(ج7،ج8).

24– _____ **جامع القرويين ،المسجد والجامعة بمدينة فاس** ،ط2،دار نشر المعرفة 25 الرباط 2000.

25 – الجمل شوقي عطا الله ،**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** ،ط1،مكتبة الانجلو مصرية ،القاهرة 1981.

26 – الجيلالي عبد الرحمان ،**تاريخ الجزائر العام** ،ط1،مكتبة الشركة الوطنية ،الجزائر 1965.

27 – حاجي عبد الله ،**الدولة السعدية آليات التطور ومظاهر التدهور** ،ط1،إفريقيا الشرق المغرب 2013.

28 – حركات إبراهيم ،**المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين** ،ط1،دار الرشاد الحديث،الدار البيضاء ،1978.

29 – داود محمد ،**تاريخ تطوان** ،ط1،معهد مولاي حسن ،تطوان ،1959

30 – رزوق محمد ،**دراسات في تاريخ المغرب** ، ط1،إفريقيا الشرق ، المغرب ،1991.

31 – السائح الحسن ،**الحضارة الإسلامية في المغرب** ،ط2،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،1986.

32- سعد الله أبو القاسم ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج 1،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1998.

33 - السيد محمود ،**تاريخ دول المغرب العربي** ،ط1،مؤسسة شباب الجامعة ،مصر ،2006.

34 - شوقي ضيف ،**عصر الدول والإمارات** ،ط1،دار المعارف ،القاهرة ،1995.

35 - الصلابي محمد علي ،**الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** ،ط1،دار التوزيع والنشر الإسلامي مصر ،2001.

36 - الطمار محمد ،**تلمسان عبر العصور ،دورها في سياسة وحضارة الجزائر** ،ديوان المطبعات الجامعية الجزائر،2007.

37 - عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**،دار هومة للنشر ،الجزائر 2005.

38 - عمر عبد العزيز عمر ،**التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث** ،ط1،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1992.

39 - عبد الكريم غلاب ، **قراءات جديدة في تاريخ المغرب العربي** ، ج2، ط1،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005.

40- الفيلالي عبد الكريم ،**التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** ،ج3،شركة ناس للطباعة القاهرة 2006.

41- فارس خير محمد ومحمود علي عامر، **تاريخ المغرب العربي الحديث ،المغرب الأقصى** منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1999.

42- كريم عبد الكريم ،**المغرب في عهد الدولة السعدية ،دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية** ،ط3،منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ،الرباط 2006.

43- كنون عبد الله ،**النبوغ المغربي في الأدب العربي** ،طنجة ،1960

44-_____ **رسائل سعدية** ،ط1،دار الطباعة المغربية ،تطوان ،1954.

45- المحامي محمد فريد بك ،**تاريخ الدولة العلية العثمانية** ،ط1،(تح إحسان حقي) ،دار النفائس بيروت 1981.

46 - المدني أحمد توفيق ،**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)**، ط3،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984

47-_____ **كتاب الجزائر** ، دار عمر راسم لنشر والتوزيع ،الجزائر ،1931

48- نويهض عادل ،**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** ط2،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ،بيروت ،1980

49- يوسف بك أصاف حضرة عزتو ،**تاريخ سلاطين بني عثمان** ،(تق محمد زينهم ،محمد عزب)،مكتبة مديولي القاهرة ،1995.

3- الأطروحات الجامعية.

50-بكاي هوارية ،**العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنيين السابع والعاشر الهجريين** ،رسالة لنيل شهادة دكتوراه ،في التاريخ المغرب الإسلامي الأوسط ،جامعة أبي بكر بلقايد (إشراف بودواية مبخوت)، تلمسان ،2013-2014

51- بن خروف عمار ،**العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى 1517-1659م**،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ،(إشراف ليلى الصباغ)، جامعة دمشق ،سوريا ،1983.

4- المجلات والدوريات.

52 - إبن تاوت محمد ،"**فاس جولة في أحداثها الكبرى**" ،مجلة المناهل ،العدد 05،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،الرباط ،مارس 1976.

53 -إبن خلدون عبد المجيد ،"**بعد المعركة**" ،مجلة المناهل ،العدد13،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط ،ديسمبر ،1978.

54 – بنيس عبد الحق ،"**الدبلوماسية المغربية في فجر التاريخ**" ،مجلة دعوة الحق العدد12،وزارة عموم الأوقاف الرباط ،نوفمبر ،1958.

55 – التازي عبد الهادي ، **وقعة وادي المخازن بدون رقابة** ،مجلة دعوة الحق العدد08،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الرباط ،أوت 1978.

56 – التميمي عبد الجليل ،**رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519**،المجلة التاريخية المغربية ،العدد 06،مطبعة الاتحاد العام التونسي لشغل ،تونس 1976.

57 – جادور محمد ،**دبلوماسية أحمد المنصور السعدي من خلال تقاييد أسير برتغالي**،مجلة المؤرخ العدد 04 جمعية ليو الأفريقي ،المغرب ،أوت ،2009.

58 – الجمل شوقي عطا الله ، **صفحات من التاريخ البرتغالي الاستعماري في المغرب العربي** مجلة الدراسات الأفريقية ،العدد04،معهد البحوث والدراسات الأفريقية ،القاهرة ،1975.

59 – _____ **العلاقات المغربية الانجليزية في النصف الثاني من القرن 16والاول من القرن 17 في ضوء وثائق مكتبة المتحف البريطاني** ،مجلة المناهل ،العدد 03، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط،جويلية 1975 .

60 – حجي محمد ،**العلاقات المغربية التركية في القرن 16**،مجلة المناهل،العدد25،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،الرباط ،ديسمبر 1982.

61 – حركات إبراهيم ،**أحمد المنصور كرجل دولة** ،مجلة دعوة الحق ،العدد08،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط ،أوت 1978.

62– حساين عبد الكريم ،**الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن 13–15**،دورية كان التاريخية ،العدد17،الكويت ، 2010 .

63–شريخي نبيل ،"**المناظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 14**–15،دورية كان التاريخية ،العدد13،الكويت ، 2011 .

64- الصباغ ليلى ،"**ثورة مسلمي غرناطة عام 1568والدولة العثمانية**" ،مجلة الأصالة العدد27،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ،1975.

65- طحطح خالد فؤاد ،"**العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث ،القرن 16- أواخر القرن 18** "،دورية كان التاريخية ،العدد14،الكويت ، 2011.

66 - علي أحمد سالم ،"**العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن 16**"،دورية كان التاريخية العدد 14،الكويت 2011.

67 - علوي مصطفى ،"**الأحول الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة**" دورية كان التاريخية العدد14، الكويت ،2011 .

68 - غرداوي نور الدين ،" **كتب الفتاوى مصدرا لكتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمغرب الأوسط** " مجلة الدراسات التاريخية ،العدد14،جامعة الجزائر 2،الجزائر 2012.

69 - المدني أحمد توفيق ،"**تلمسان بين الزيانيين ،والعثمانيين 1530-1554**"،مجلة الأصالة العدد26،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر ،1975.

70 - المنوني محمد ،"**بين أنفا والدار البيضاء**" ،مجلة المناهل ،العدد 30،وزارة الشؤون الثقافية الرباط جويلية 1984 .

5 – الموسوعات والاطالس.

71 - صابان محمد سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض 2000.

72 - مؤنس حسين ،**أطلس تاريخ الإسلام** ،الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ،1987 .

المراجع باللغة الأجنبية.

73 – De Castries(Henry) ,**sources inédites De L'Histoir de Maroc** , 1ére série ,dynastie saadienne,Paris,1921.

74-De Grammont , **Histoire d' Alger sous la domination turque (1515-1830)**,paris 1887.

75 - Haedo (de Diego) ,**Topographie et Histoire générale d' Alger** , traduit Monnereau et berbrugger ,Alger,1870.

76 - _____ , **Histoire des rois d' Alger** , traduit de Grammont Alger 1881.

77 - Primaudaie , **Histoire de l' occupation Espagnole en Afrique (1506-1574)**, Alger ,1875

78-_____ **documents inédits sur l' Histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1506-1574)** , Revue africaine ,volume 19,Alger 1875.

79- Rouseau(Alphonse) , **Chroniques de la régence d' Alger** , traduites d un manuscrit arabe intitule – el –zohrat –el- nayerat , Alger ,1841.

80- De Tassy(Laugier) , **Histoire du royaume d' Alger** ,majesté très Hollande 1881.

القائـــــــــمة

البيـــــــــــلوغرافية

الفهـــــــــــــــــــــــرس